13 me Année No. 607

Lundi - 19 - 2 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر المالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإداره

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثالثة عشرة « القاهرة فى يوم الإثنين ٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ — الموافق ١٩ فبراير سنة ١٩٤٥ » العـــدد ٦٠٧

الرباط المقـــدس

للأستاذ عباس محمود العقاد

الرباط المقدس هو اسم رواية جديدة من قلم صديقنا الكاتب الفنى الموهوب الأستاذ توفيق الحكيم -

والرباط المقدس هو رباط الزوجية

والتقديس يقترن فى الذهن بالتحريم ، والتحريم يقترن فى الذهن بالاغراء ، وهذا هو المعنى الذى فصله الأستاذ الحكيم فى هذه الرواية أجمل تفصيل ، وانتقل به خطوة خطوة بل همسة همسة من الوفاء إلى الاباحة فانساق معه القارىء فى رحلة نفسية طبيعية لافجوة فيها ، لأنه لم يسه فيها عن لمحة واحدة من اللمحات التى تتحول بها النفس من شعور إلى شعور ومن عزم إلى عزم ومن عمل إلى عمل ، فاذا هى بدايات تنتهى إلى غاية بعيدة لمن ينظر إلى الطرفين الأقصيين ، ولكنها لاتلوح للقارىء المتتبع إلا بداية بعد بداية لا يفرقهما قيد شعرة من خطرات الضمير .

وخلاصة الرواية أن فتاة تزوجت رجلا يكبرها ولكنه يناسبها فى عمرها ، وكان الرجل من قراء الكتب وعشاق الثقافة ، فأحب أن تشاركه زوجته فى مسراته الفكرية ، واحبت هى أن ترضيه فقصدت إلى كاتب معروف — راهب الفكر — لتسترشده فى تربية ذوق القراءة والأدب عندها ، وشعر زوجها بأثر هذه الزيارة — وإن لم يعلم بها — فذهب إلى راهب الفكر أيضاً ليشكر له إقبال زوجته على قراءة كتبه ومشاركته فى متعة فكره ، ثم انقطع مابين راهب الفكر وبين الزوجين ، حتى خطر لراهب الفكر يوما أن يعتزل الناس فى بعض الفنادق الخلوية فاذا به يلقى الزوج مع ضابط من أقربائه وهما قلقان مضطربان ، ثم يعلم جلية الأمر فاذا بالزوج قد عثر فى بيته على كراسة حمراء تنطوى على مفكرات خاصة كتبتها زوجه واعترفت فيها بعلاقة غرامية بينها وبين ممثل من ممثلى أدوار الغرام على اللوحة البيضاء ، وأشارت فيها إلى غوايات فتاة أخرى هى زوجة ذلك الضابط القريب . فأخذ الضابط القريب يشك فى ذريته من تلك الفتاة ويستعيد حوادثها التى كانت فى أوانها موضع ريبة لايفهمها . ثم توسط راهب الفكر بين الزوجين فأخفقت الوساطة وأوشك الراهب أن يقع فى الفتنة لولا دقات جرس التليفون ، ثم افترق الزوجان وضاقت الدنيا بالضابط فأطلق النار على نفسه ، وثاب الراهب إلى صومعته كما كان .

هـذا مجمل سريع للقصة لا يغنى شيئاً عن تفصيلها ، لأن هذا التفصيل هو المقصود وليست الحكاية لذاتها ، وفى هـذا التفصيل تتجلى قدرة الكاتب الفنان على تصور لفتات النفس ووساوس الضمير والانتقال بها من عصمة الوفاء إلى إباحة الخيانة

فى خطوات قصار لايشعر بها التتبع لها إلا وقد شارفت نهايتها القصوى .

وأقوى مايكون هذا التسلسل فى ضمير بطلة الرواية وفى ضمير راهب الفكر نفسه ، ثم فى ضمير الرجلين المتزوجين .

فالزوجة ــ بطلة الرواية ــ مثل صادق للفتاة المصرية التى تنعم بدفء الزوجية فلا يستقر لها قرار أو تحترق بالنار ، لأنها تلمح وهج النار حولها فى كل مكان فلا تصبر على النظر إليها والدفء بها دون الوقوع فيها .

وراهب الفكر — ولعله مؤلف الرواية — مثل صادق للرجل الذى يعيش بين الصومعة والحياة فيأخذ من الحياة للصومعة ويأخذ من الصومعة للحياة ، ولكنه يحفل من هذه كلما حرفته عن تلك ،ولا يرى فى إحداهما غنى عن الأخرى .

وأصوب مايقال فى شرح هاتين النفسين أنهما دراسة فنية تحليلية من الطراز الأعلى ، ولو لم تكن فى القصة إلا هذه الدراسة لكفى بها مادة حية وزادا شهيا لمن يولع بدراسات الفن والتحليل .

أما وضع القصة فهو مع تشويقه واستطراده تقل فيه الروابط الطبيعية التى تمسك أجزاءها وتحل فى محلها روابط من عمل التأليف تأتى بها المصادفة ولا يستلزمها السياق .

مثال ذلك أن الفتاة — بطلة الرواية — تقصد إلى المؤلف لأنها مغلقة النفس من ناحية الأدب والتفكير ، قد عيت بطبعها وعيّ بها زوجها فى رياضتها على القراءة فضلا عن الكتابة .

ولكننا نستمع إلى حوارها مع راهب الفكر فاذا هى تساجله فكرة بفكرة وفطنة بفطنة وبراعة ببراعة . فتقول له مثلا إذا تمنع من رؤيتها فى ملعب التنيس : « ... يجب أن تهبط إلى ملعبي لترتفع بى . هكذا يفعل الأنبياء دائما . يهبطون إلى الناس حتى يستطيعوا بعد ذلك أن يصعدوا بهم إلى السماء . ولم يحدث قط غير ذلك . ولا تنتظر أن أصعد أنا إليك توا بغير أن تهبط أنت إلى وتأخذ بيدى ... »

ثم نقرأ كلامها فى الكراسة الحمراء فاذا هو كلام أديب وصافة لا تفوته خلجة من خلجات الوهم ولا لفتة من لفتات الملاحظة ، ويبدو عليها أنها أستاذة فى هذا الفن وليست بالتلميذة الناشئة التى تتعثر فيما تحس وفيما تقول .

فمناسبة اللقاء هنا بينها وبين راهب الفكر ضعيفة ، وأضعف منها سبب التعارف بينه وبين زوجها ، لأنه ذهب إليه يشكره على اهتمام زوجته بقراءة كتبه ، ولم تكن بينهما رابطة تدعوها إلى اللقاء غير هذه الرابطة ، ومنها استحكمت الصلة بينهما حتى أطلعه الزوج فجأة على سر بيته وبيوت أقربائه .

وفى الرواية صفحات طوال عن النساء اللواتى يحسبن مثلا فى التاريخ للزوجات الوفيات . وكل مناسبتها فى سلب الرواية أن راهب الفكر كتبها إلى طيف الفتاة بعد لقائها واشتغاله بأمرها وهو ينوى أن يطويها عنها ولا يطلعها عليها . وقليلا مايخطر على البال المشغول بامرأة فى عصمة رجل آخر أن يجعل أحلامه كلها بقديسات الوفاء الزوجى . وهو يكتبها لنفسه ولا يقصد بها عظة الفتاة وتعليمها .

وتشيع فى الرواية مناسبات المواقف ومداخل الشخصيات من هذا القبيل ، ولكنها ملاحظة على الشكل لاتنفذ الى جوهر الموضوع ، ويبقى بعد ذلك أن صفحات الرواية جميعها مادة قراءة فنية تحليلية قليلة النظير فى أدبنا الحديث ، بل فى كل أدب حديث ، وهى مما يعرض للمقارنة بينه وبين ثمرات الأقلام التى تجود بها قرائح المتازين من أدباء الغربيين فى هذا الجيل .

ويلحق بهذه الملاحظة الشكلية هفوة هنا وهفوة هناك من هفوات اللغة المطروقة كساق فى موضع سوق وسوى فى موضع نشوة وتعدية الأفعال بغير حروفها أو فى غير مواضعها ، وهى جد قليلة فى أكثر من ثلثمائة صفحة من الحرف الدقيق .

ولكن الملاحظة التى تدخل فى جوهر الموضوع هى الملاحظة التى تدور على حدود الوصف « المكشوف » فى الروايات والكتب عامة .

فالاستاذ توفيق الحكيم من أغنى الكتاب القاصين عن اثارة التشويق والتطلع بالافاضة فى تصور الغرائز التى لا حاجة الى تصورها ، لأنه يملك زمام التشويق بوصفه لأنزه خواطر الفكر وأرفع سبحات الروح ، فلا حاجة به الى تنبيه الغرائز فى زمن شكواه الكبرى فرط التنبه فى غرائز أهله .

ولهذا وددنا لو خلت الرواية من صفحتين أو ثلاث لايضطرنا السياق إلى إثباتها ، وإن ذلك لخليق بالكاتب المتحرج الذى وصل الى الفتنة فدق للنجاة منها جرس التلفون ... لكيلا يسمح لغرزته أن تنطلق الى مداها .

على أن صديقنا الأستاذ كما أسلفنا متردد بين عتبة الصومعة

أبو العـــلاء المعرى

التفاؤل والأثرة عند الشيخ

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٤ —

الأمل :

لى أمــــل ، فرقانه محكم   أقرأه غضــاً كما أنزلا (١)

أجرى من الخيل آمال أصرفها   لها بحثّي تقريب وإخباب (٢)

لا تقنطن أيها الإنسان ، فإن بلغتك(٣) عند الله الكريم ، والرزق يطلبك وأنت تبصر الأحلام . لو أن للرزق لسـاناً هتف بمن رقد ، أو يدا لجذب المضطجع باليد ، أو قدماً لوطىء على الجسد ، لا يزال الرزق مرنقا على الهـامة ترنيق الطير الظماء (٤) على الماء المطمع (٥) .

سم اصـــلال إذا عاينته ثمرا   إن الاهالة عن وشـك لأثمار

وقد يخمس الإنسان فى منفوانه   وينبه من بعـد النهى فيسود

أحسبت الخير ليس يثمر ؟ بلى . إن للخير ثمرة لذت فى المطعم ، وتضوعت لمن تنسم ، وحسنت فى المنظر والمتوسم ، وجاوزت الحد فى العظم ، فما ظنك بثمرة هذه صفتها ؟ !

هون عليك :

الأمر أيسر ممـا أنت مضمره   فاطرح أذاك وهون كل ماصعبا

إذا تفكرت فكراً لا يمـازجه   فساد عقل صحيح هان ما صعبا

العلم كالقفل ، إن ألفيته عسرا   فخـــله ثم عاوده لينفتحا

دع ما ضر وصعب ، إلى ما نفع وهان . واترك المضلة إلى المرشدة فإن طرقات الخير كثير .

لا طيرة :

الأيام كلها لله ، وربما ساءتك عروبة(١) ، وسرك الخميس . وإذا نزل بك نازل فى يوم فلا تمقته لذاك .

بركات الله ورحمته :

يبعث الله فى نهـار وليـل   بركات من رزقه مدروره (٢)

(١) فى حديث : الأمل رحمة لأمتي ، لولا الأمل ما أرضعت أم ولداً ، ولا غرس غارس شجرا . ومن أقوالهم : أعظم المصائب انقطاع الرجاء ، قتل القنوط صاحبه . وللحجاج : أمس أجل ، واليوم عمل ، وغداً أمل .

(٢) التقريب والخبب : ضربان من سير الفرس فى الأصل .

(٣) البلغة : ما يتبلغ به من العيش ولا فضل فيه ، وتبلغ بكذا اكتفي به .

(٤) رنق الطائر خفق بجناحيه في الهـواء ورفرف ولم يطر . = فى الأساس : هو ظمآن وهي ظمأي وهم وهن ظماء .

(٥) المطمع الذي أطمعها في النزول عليه (أبو العلاء) .

(١) الجمعة ، في «النهاية» : هو اسم قديم لها وكأنه ليس بعربي ، يقال : يوم عروبة والعروبة ، والأفصح ألا يدخلها الألف واللام .

(٢) « مدرورة » كثيرة ، فى الأساس : ومن المجاز : درت الدنيا على أهلها إذا كثر خيرها .

وعتبة الحياة ، ولم يزل مترددا بين العتبتين من الصفحة الأولى الى الصفحة الأخيرة .

ففى هذه الصفحة الأخيرة يقول عن راهب الفكر : « أما هو فقد رجع إلى عاداته السابقة ... يفض رسائل قرائه فى الصباح باسم الثغر هادىء الأعصاب . وإذا هو بعد زمن قليل قد وقعت فى يده رسالة بين البريد ارتجف لها : إنها من امرأة تسأله أن يحدد موعداً للقائها لأنها تريد أن تحادثه فى شأن من شئون الأدب والفكر ! . فصاح فى نفسه : لا . لا . كفى ... ألم يعرفهن ؟ .. وضغطت أصابعه على الرسالة يريد أن يمزقها ... »

هكذا كتب الأستاذ توفيق فى الأسطر الأخيرة من الصفحة الأخيرة عدا سطرين اثنين .

ولو ختم الرواية بعد ماتقدم لأحجم الأديبات عن سؤاله وعلمن أن التمزيق العاجل نصيب تلك الرسائل التى يكتبنها اليه ...

وهو يريد ولا يريد .

وهو يتردد بين الصومعة والحياة

ولهذا اتكل على الله وختم الرواية معتصما بالشجاعة فقال ان « الشجاعة ليست فى تجنب مزالق الجسد وتحاشى مواطن الزلل . بل فى مواجهتها بمصباح الحقائق ونور المثل العليا »

ومصباح الحقائق إذن هو الكفيل بانتظام البريد فى مجراه ، وليكتب اذن من يكتب فان راهب الفكر شجاع !

عباس محمود العقاد

١١ ــ ٥ ــ ٢٤

غشيت رحمة الله كل الحيوان ، وتكفل بالرزق لكل المتغذيات .

فرح اللاّ بالكلأ[١] ، وحق لهم أن يتبهجوا برزق الله الكريم . جاء اللّبأ[٢] ، وذهب الوبأ[٣] ، فسبحان الله العظيم ! يا خصب ، ثِب لتراق الكُثَب[٤] على الكُثُب[٥] وعلى الله رزق العالمين .

السماء تدِق[٦] ، والبلاد تورق ، والله الموفق ، والرزق بكرمه متدفق .

والشمس تغمر أهـــل الأرض مصلحة
ربّت جسوماً ، وفيها للعيون سنـا

طهت لك الشمس ما يفـــنى أخادعة
عن أن يكون له فى الأرض طاهونا

الاقدام ، الجسارة :

وإنى رأيت الصعب يركب دائماً
من النـاس من لم يركب الغرض الصعبا

والعيش جسر ، نال من هو جاسر
أو كاد فيـــه وخاب من لم يجسر

ويحمد الصابر الموفى على غرض لا عاجز بعرى التقصير معقود

ينبغى للمسبوق ألاّ يؤثر بصبوح ولا غبوق[٧] ، فليستحى المتأخر أن يفتخر .

الخيف من رأى السخيف ، فاجر على مُتَطرَنك فى تقوى الله ؛ والخيل بفوارسها متمطرات[٨] .

إنما نحن فى أحلام نائم لا أحلام ذوى العزائم ، وقد يرى الراقد نفسه مع الفراقد ، فإذا استيقظ رآها بالجدد[١] .

وكن فى كل نائبـــة جريئا
تصب فى الرأى إن خطىء الهدان[٢]

وسائل من تنطس فى التوقى لأية علة مات الجبـان[٣]

اشجُع فإن أقدار الله لا تعجل إلى الشجاع .

صُل على الظالم بالمنصل[٤] .

الدنيا ، الحياة :

خُلقتُ من الدنيا وعشت كأهلها
أجـــد كما جـــدوا ، وألهو كما لهوا

أمور دنيـاك سطر خطه قدر وحبها فى السجايا أول السطَر[٥]

ولا تظهرن الزهد فيها فكلنا شهيد بأن القلب يضمر عشقها

نفسى بها ونفوس القوم ملهَجة ونحن نخبر أنا لا نباليها[٦]

أمرتنى بسلو عن خوادعها فانظر هل أنت مع السالين ساليها

ولا ترى الدهر إلا من يهيم بها طبعاً ، ولكنه باللفظ قاليها

فترومن هـــذى الحيـــاة (م) لكى تموت النفس ريّا

الموت ، كرهه :

والنفس آلفة الحيـاة فدمعها يجرى لذكر فراقها منهلّه !

ولم أرد المنيـــة باختيـــارى
ولكن أوشك الفتَيان سعيى[٧]

ولو خيرت لم أترك محـــلى فأسكن فى مضيق بعد رحب !

فليت الفتى كالبدر جدد عمره يعود هلالا كلما فنى الشهر !

---

(١) الكلأ : العشب ج أكلاء .
(٢) اللبأ : اللبن ، أوله .
(٣) بالقصر والمد .
(٤) الكثبة : الطائفة من طعام أو غيره ، القليل من اللبن .
(٥) الكثيب : التل من الرمل .
(٦) تدق : تمطر . وفى الأساس : ودقت السماء والمطر. وفى التاج: الودق : المطر كله شديده وهينه.
(٧) الصبوح كل ما أكل وشرب غدوة وهو خلاف الغبوق : شرب العشى (اللسان) .
(٨) « الخيف : جمع خيفة ، (المطرة) العادة (متمطرات) جمع متمطرة وهى المجتهدة فى العدو » والنفيس للشيخ .

---

(١) «الجدد» : الأرض .
(٢) «الهدان» الضعيف الجبان الذى لا يهتدى لأموره . « شرح السقط » والهدان الأحمق الثقيل .
(٣) تنطس فى كل شىء إذا أدق فيه النظر « الأساس » .
(٤) «المنصل» — بضم الميم والصاد ، وبضم الميم وفتح الصـــاد — السيف . فى «التاج» : قال ابن سيده : لانعرف فى الكلام اسماً على مفعل ومفعل إلا هذا وقولهم منخل ومنخل .
(٥) فى المصباح : وتفتح الطاء فى لغة بنى عجل فيجمع على أسطار ، ويسكن فى لغة الجمهور فيجمع على أسطر وسطور .
(٦) ملهجة : مولعة .
(٧) الفتيان : الليل والنهار .

أحسن بدنيا القوم لو أن الفتى   لا يُقتضى ، وأديه لا يحلم[١] !

تضاعف همى أن أتتنى منيتى   ولم تقض حاجى بالمطايا الرواقص[٢] !

فواها لأشباح لكم غير أنها   تبدل من أوطانها برموس !

أنبأنا اللب بلقيا الردى   فالغوث من صحة ذاك النبأ !!!

موت البطولة :

هناك ضرب من الموت لا يكره ولا يذم بل يحب ويعظم ، وهو موت البطولة فى الوغى . وقد حرض الشيخ عليه ، والحرب شرعة العربى :

إذا المــــرء لم يغش الكريهة أوشكت   حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا[٣]

والجهاد من دين المسلم :

« كُتبَ عليكم القتال وهو كرْهٌ لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شرٌ لكم ، والله يعلم ، وأنتم لا تعلمون » .

« وجاهدوا فى الله حقَّ جهاده » .

« وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون » .

« انفروا خفافا وثقالا[٤] ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

وإذا كان الحال كما قال الشيخ .

وما سلُّ المهند للتوقى   كسل المشرفية للتشفى

فالموت يومئذ خير من ألف حياة ، خير من الخلود .

من السعد فى دنياك أن يهلك الفتى   بهيجاء يغشى أهلُها الطعن والضربا

فإن قبيحا بالمسوَّد ضجعة   على فرشه يشكو إلى النفر الكربا

فكلٌ يحاذر حتفا وليس يعدم شربه   ويتقى الصارم العضب أن يباشر غربه

(١) يقتضى : يطالب كأن الحياة دين عنده فاذا جاء الأجل اقتضاه المقتضى .

(٢) رقص البعير يرقص رقصاً — محرك القاف — إذا أسرع في سيره . ولا يقال يرقص إلا للاعب والابل وما سوى ذلك فانه يقال : يقفز وينقز . « اللسان » .

(٣) الكلحبة العرني فى مفضلية .

(٤) خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبابا وشيوخا أو صحاحا ومراضا « الكشاف » القصد بالآية الحث على النفر على كل حال تصعب أو تسهل . « مفردات الراغب » .

والنزع فوق فراش أشد من ألف ضربه

لقد ركزوا الأرماح غير حميدة   فبعدا لخيل فى الوغى لم تطارد !

وما يجمع الأشتات إلا مهذب   من القوم يحمى بارد فوق بارد[١]

لضربة فارس فى يوم حرب   تطير الروح منك مع الفراش[٢]

أخفُّ عليك من سقم طويل   وموت بعد ذاك على الفراش

ألا تنهض للحرب   وتدعو للوغى شوساك[٣] ؟

وقد علمتُ وغيرى عن مشاهدة   أن العلا إلفُ قوم فى الوغى ليس[٤]

وجدتُك أعطيت الشجاعة حقها   غداة لقيت الموت غير هيوب

من السعادة أن يموت القوم كراما

للحديد العلا على سائر الجوهر[م] ذلُّ العدى وعزُّ الضيوف

فوارس خيلكم تُعطى مناها   إذا دمَّى نواجذَها الشكيم[٥]

وفى بيض السيوف بياض عيش   بذاك — فاعلموا — نطق الحكيم

القوة :

يخضع الظبى الأخضع[٦] ، وينتصر الليث المهتصر .

المال ، تحبره :

والمال خدن النفس غير مدافع   والفقر موت جاء بالإهمال

أوما ترى حكم النجوم مصوراً   بيت الحياة يليه بيت المال

ما اليسر كالعدم فى الأحكام بل شحطت   حال المياسير عن حال المحاويج

(١) « البارد » السيف ، البوارد السيوف القواتل « اللسان » . يحمى السيف فوق الدرع أو السيف فوق السيف .

(٢) فراش الرأس : عظام رقاق تلى القحف . والقحف العظم الذي فوق الدماغ .

(٣) الأشوس : الجرىء على القتال الشديد « اللسان » .

(٤) رجل أليس من رجال ليس وهو الذى لا يبالى هولا ، ولا يروعه شىء « الأساس » .

(٥) الشكيمة في اللجام الحديدة المعترضة فى فم الفرس التى فيها الفاس، وفأس اللجام الحديدة القائمة فى الحنك .

(٦) الأخضع الذى فى عنقه خضوع خلقة « أبو العلاء » . رجل أخضع : راض بالذل « الأساس »

انفقْ لترزق فالثراء الظفر ، إنْ ... يُترك يَشن ويعود حين يُقلم

ينبغى لمن يرث ، أن يحترث ، وإلا فنى التراث

جل من سخره لقضاء الحاج

أعتمدُ على ذى وجهين ، ما عُرف قط بالمَين . لو كان رجلاً لكان ناصح الجيب ... سبّح ربه مذ خُلق ، إذا انطلق به فهو منطلق ، ومتى بُعث فى المآرب قضاها ، والله بلطفه أمضاها . ثم يُحبس ولا ذنب له . سجن فهو طول الدهر مستريح ، لا تلج عليه الشمس ولا الريح . لا يأكل ولا يشرب ... له منزل مادخله الهم ... إذا غاب الحافظ عنه فله الختم ، وليس ذلك من القضاء الحتم ... خُص بالعمر الطويل ، وتناسخه جيل بعد جيل ، فظهر فى الأكاليل ، والأسورة والخلاخيل ، والكأس الدائرة بشراب الكرم والنخيل . ما شاب ولا هرم ، ولا درَم[١] للكبر ولا درِم[٢] . ملكه قوم فدفنوه ، فتطاولت فى الأرض سنوه ، ثم ظهر ما نُسى اسمه ، ولا تغير جسمه ... به صفرة من غير الضرب ، ظهر بها فى الشرق والغرب ... تلقاه معلِماً بالتوحيد ، وليس بالعالم ولا البليد ، ولكن الله أنطق بعظمته كل جماد ... جلّ من سخره لقضاء الحاج[٣] .

العمل

تروم رزقاً بان سموك متكلا ... وأدين الناس من يسعى ويحترف

لا تقومنّ فى المساجد ترجو بها الزلف

معملاً بسط راحتيك إلى نائل يُلف

ورُم الرزق فى البلاد فإن رمته ازدلف

يعرى الفقير وبالدينار كسوته ... وفى صوانك ما إعداده خرف

(١) درم من الدرمان وهو تقارب الخطو.

(٢) درم من الدرم وهو سقوط الأسنان ، ومن ذلك قيل : كعب أدرم ، والمعنى أن نقشه لم يزل وخشونته لم تملاس «أبو العلاء» .

(٣) ورد هذا الوصف البارع «فى الفصول والغايات» ص ٢٨٨، ٢٨٩ ومن قول الشيخ فى هذا الكتاب ص ٧٧ : « فى الحق من الذهب ثلاث خلال : حسنه ، وثقله ، وبقاؤه على الأبد بغير تغيير» وكتاب «الفصول والغايات» من أعظم مؤلفات الشيخ وقد أفضل على العربية بنشر الجزء الأول منه العلامة الأستاذ محمود حسن زناتى محققاً مشروحا وكان العلامة الأستاذ الكبير صاحب الرسالة هو الذى هدى الأستاذ زناتي إلى هذا الكنز .

أملكُ من شداد بن عاد ساعة تفتقر الأملاك رجل اشترى كرًّا[١] ، وقصد منابت الشجر محتطباً ، فرجع بالعَضد[٢] متكسباً ، فأحل فى المكسب وأطاب

لا يصبرنّ فقير تحت فاقته

إن السباريت جابتها السباريت[٣]

من فى اللجة يغبط السائر على المحجة ، والمسافر يغبط المقيم ، والغنيمةُ مع الظاعنين

العمل — وإن قلّ — يستكثر إذا اتصل ودام

من سهر فى الليالى السود فأحر به أن يسود

بُلغ أمل بعمل ، وأهلُ التقصير بلا عون ولا نصير

أجدْ عملك وجِدّ فيه

طِدْ بناءك على أس

الثمر ، النبات

فإذا ملكت الأرض فالحم ترابها ... من غرسه شجراً بغير ثمار

إذا رملة لم تجىء بالنبات ... فقد جهلت إن سقتها السوانى[٤]

(١) الكر : الحبل ج كرور.

(٢) العضد : ما عضد من الشجر ، وعضده قطعه بالمعضد وهو كل ما عضد به الشجر «اللسان» .

(٣) السباريت : الفلوات . جابتها : قطعتها . السباريت : الساكين والمحتاجون ، جمع سبروت وسبريت . وفى « نقائض جرير والأخطل » لأبى تمام : صعلك الرجل وسبرت إذا افتقر ، وفى « التاج » سبرت الرجل قنع وتمكن .

(٤) السانية : الساقية ، عنى بالسوانى السحب .

في عيـــد المعري (*)

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٢ —

ويوم الاثنين ثامن شوال سنة ١٣٦٣ من الهجرة ، اجتمعت وفود البلاد العربية فى جامعة دمشق ، واحتشد الناس ليشهدوا افتتاح المهرجان ، وجلس الوفود على منصة عالية فى صدر المجلس ومعهم رئيس المجمع العلمى العربى وأعضاؤه — وهم الداعون إلى الاحتفال والقائمون عليه — وحانت ساعة الافتتاح فأقبل رئيس الجمهورية وجلس وسط الصف الأول من الوفود ومعه بعض الوزراء وكبراء الدولة .

أمة تمجد شاعراً من شعرائها ، وقد احتفلت لهذا واجتمعت له ، وشهد الاجماع رئيس الدولة . ذلكم أمر أمم ، وخطب يسير لو وقف الفكر عند هذا المظهر المرئى ، وهذا الجمع الحاضر ؛ ولكن وراء هذا المرأى معان ومعان ؛ هذه الأمة العربية المجيدة قد عرفت نفسها ، وتبينت وحدتها ، فبعثت وفودها إلى دمشق لتجتمع على تمجيد شاعر من شعرائها . فالتقت فيها وجوه متعارفة لا تتناكر ، وقلوب متعاونة لا تتنافر ، وتحدثت عن الماضى والحاضر ، وطمحت إلى الآتى بآمال مجتمعة ، وعزائم مجمعة ، وقد اجتمعت فى الساعة نفسها وفودها فى الاسكندرية لتشرع لوحدتها شرعة ، وتخط لها منهاجا ، وتتحالف على الخطوب ، وتعد للحوادث ، وتلقى الزمان برأى جميع ، وأمر جامع . ولم يوافق إجتماع دمشق إجتماع الاسكندرية إلا إيذانا بيقظة هذه الأمة ، وطلبها المجد والكمال فى كل نواحيها ، وسلوكها كل سبيل إلى مقاصدها . وما رئيس الجمهورية هذا الجالس فى حفل المعرى إلا ربيب الثورات وغذى المحن فما نال مكان الرياسة من الجمهورية السورية إلا بأن العرب الثائرين تولوا أمورهم ، ونالوا مكانهم فى بلادهم ، وأن الثورة ظفرت ، والآمال تحققت ، وبدت بشائر الفجر الصادق للمستقبل الكريم . ولقد كان من مقاصدى يوم أزمعت شهود مهرجان المعرى أن أرى شكرى القوتلى وصحبه يصرفون الأمور فى حاضرة بنى أمية ، وأن أسعد نفسى برؤية ما تمنيت ، وشهود ما أملت . لقد أديل من الضعف للقوة ، ومن الذل للعزة ، ومن الفرقة للاجتماع . ولم يبق إلا أن تعتزم الأمة المجيدة وتقسم لتبلغن غايتها ، ولتنالن مُنيتها . وما أقسمت أمة وعزمت إلا أبرتها الحادثات ، وأمضى يمينها الزمان .

قلت فى نفسى ، والسرور يملؤها : قد احتفلنا من قبل بذكرى أبى الطيب المتنبى فتجاوبت بلاد العرب بتمجيد الشاعر الكبير ما بين هضبة إيران وبحر الظلمات ، وكتبت مقالات وألفت كتب تناولت سيرته وأدبه . وتبين من يحتاج إلى بيان أن فى هذه الأقطار الواسعة أمة واحدة ، تنطق بلسان واحد ، وتروى عن تاريخ واحد ، وتتأهب لتأليف تاريخ هو على ضخامته واختلاف فصوله ، كتاب واحد .

ثم يدعى إلى الاحتفال بذكرى المعرى والحرب دائرة ، والخطوب محيطة ، والأسباب بين البلاد متقطعة فتصيب الدعوة هوى من أمة نزاعة إلى إحياء مجدها وحفظ تاريخها القديم وتسطير تاريخ جديد أعظم وأروع . وكانت دمشق مكان الجمعين وما أجمل أن يحيا أدب العرب ، ويذكر مجد العرب فى مدينة العرب : دمشق الخالدة .

وقد اجتمعت الوفود على ذكر الشاعر الفيلسوف الحزين المتشائم ، وهى فرحة مستبشرة ، ترى تباشير الصباح فى أعقاب الظلام ، وتكاد ترى أشعة الشمس من وراء الأفق ، ويعرف بعضهم فى وجوه بعض بسمة الأمل ونضرة الرجاء ، وقوة العزم وأهبة الجهاد الذى لا ينتهى دون الظفر .

إحتفلنا بذكرى أبى العلاء يومين فى دمشق نلقى المحاضرات فى العشى ، وللزيارات والمآدب سائر النهار وزلف من الليل .

ويوم الاربعاء عاشر شوال والساعة تسع ونصف من الصباح فصلت الوفود ومن معها من أدباء الشام وعلمائه تسير صوب الشمال . فتوالت السيارات على الطريق تخترق الغوطة الفيحاء

(*) انظر العدد ٦٠٩ من الرسالة .

الغناء وليست النوطة إحدى جنات الدنيا ، في حاجة إلى تعريف أو وصف ، وامتد بنا السير فيها زهاء نصف ساعة . ومررنا بقرية حَرَسْتا من قراها فذكرنا الإمام محمد بن الحسن الشيباني الفقيه صاحب الإمام أبي حنيفة . ويقال إنه ولد بهذه القرية . وقال ياقوت في معجم البلدان في صفتها : « قرية كبيرة عامرة في وسط بساتين دمشق ، على طريق حمص بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ . » وعد ياقوت جماعة من العلماء المنسوبين اليها . ثم قال : « وحَرَسْتا المنظرة من قرى دمشق أيضا بالغوطة في شرقها » .

وجُزنا الغوطة إلى أرض واسعة فيها كروم ومررنا بالثنايا . ويقال إن هناك ثنيّة العُقاب التي ركز عليها خالد بن الوليد رضي الله عنه راية العقاب حينما اجتاز بادية الشام وفجىء الروم من حيث أمنوا . وبعد قليل رأينا طريق بغداد يتفرع من طريقنا . وحسب هذا الطريق يمنا ونخرا أنه يصل بين دمشق وبغداد . وقد سعدت بقطعه عشر مرات فلم توحشني قفاره ، ولم يعيني طوله ؛ بل أنست فيه بذكريات عظام ، وتحدثت فيه إلى آمال جسام .

وبعد قليل رأينا طريق تدمر ينشعب إلى يمين طريقنا ، ثم دخلنا أرضا جبلية يسير الطريق فيها على سفوح الآكام وحفاف الأودية ، ثم انفرجت الجبال واتسع السهل والساعة إحدى عشرة وبلغنا النبك بعد ربع ساعة ، وهي في سهل واسع خصب ، تلوح في نواحيه قرى قليلة متباعدة وضياع وأشجار . والعمران والخصب ظاهران في البلدة وحولها . وكذلك كانت في القرن السابع . قال ياقوت : « قرية مليحة بذات الذخائر بين حمص ودمشق فيها عين عجيبة باردة في الصيف صافية طيبة عذبة يقولون مخرجها من يبرور » . ويبرور هذه بين حمص وبعلبك وهي إلى الجنوب الغربي من النبك . والنبك مركز قضاء يسمى باسمها . ويستخرج في نواحيها عرق السوس . وقد نزلنا على مجرى هذه العين ، في بستان صغير فيه ناعورة . فاسترحنا واستروحنا إلى البستان والماء والناعورة واحتفى بنا موظفو البلدة ونائبها وأعيانها . واستأنفنا السير بعد قليل نؤم حمص فمررنا بدير عطية ورأينا على بعد إلى يسارنا قرية القارة . وهي قرية قديمة معروفة . قال صاحب معجم البلدان : « قرية كبيرة على قارعة الطريق . وهي المنزل الأول من حمص للقاصد إلى دمشق . وكانت آخر حدود حمص وما عداها من أعمال دمشق . وهي على رأس قارة وبها عيون جارية يزرعون عليها » والظاهر أن الأرض هناك كثيرة العيون وبهذه العيون تحيا الأرض هناك وتخصب وينبت الزرع والشجر وينشأ العمران . وكان معنا الأستاذ أديب التقي فقال : العامة يقولون : بين القارة والنبك بناتُ الملوك تبكي ؛ قلت : مم تبكي ؟ قال والعهدة عليه : من شدة البرد .

أخذ السهل يتسع حتى اختفت الجبال التي كانت تلوح بعيدة على يمين الطريق وابتعدت الجبال التي على يساره ، وأشير إلى سواد بعيد يبدو فيه الشجر والخضرة فقيل : انه منبع العاصي ، وشرعنا نرى آثار الخصب والنضرة في سقي العاصي . والعاصي أكبر أنهار سوريا ينبع شمالي بعلبك ويجري صوب الشمال حتى يخترق بحيرة حمص ويمر بمدينة حماة . ثم يتجه صوب الشمال والغرب حتى يفيض في البحر . وكم يفيض مجراه الخصب والبركة وينبت الزرع والجنات ، وينضر البساتين والمنتزهات ويدير النواعير الكبيرة الرائعة .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

منخفض القطارة

في صحراء مصر الغربية

للأستاذ ستابلتون ترول

كان قدماء المصريين يظنون أن منخفض القطارة هو الدار الآخرة . وكان قدماء الإغريق يعدونه الموطن الخرافي للغول الوحشي : ميدوس (Medusa) الذي كانوا يعتقدون أنه إذا نظر إلى شيء حوّله حجرا . ولا شك أن السبب في نشأة هذا الزعم هو ما كان يروى من القصص العجيبة عن الغابات والنباتات المتحجرة التي تغطي مساحة المنخفض . ولقد عبر منخفض القطارة جيش بقيـــادة قمبيز بن قورش الأكبر ، حينما زحف إلى مملكة سيوة لفتحها . ويحدثنا هيرودوت أن ذلك الجيش وقع فريسة لعاصفة رملية اجتاحته فلم يسمع عنه خبر . ولقد اجتاز الاسكندر الأكبر كذلك ذلك الطريق في عودته من سيوة بعد أن نادى به قساوسة المعبد السيوي إلهاً . تلك هي طبيعة منخفض القطارة ، حتى إنها ظلت مئات السنين تقذف الرعب الخفي في القلوب ، فكان الرحالون والقوافل تتجنبها دائما

ومع أن المنخفض قد كشف في أواخر القرن الثامن عشر وارتاده الرحالة الألماني رلفس (Rhulfs) سنة ١٧٨٤ ، لم تتجه إليه الأنظار اتجاها قويا إلا في فجر القرن التاسع عشر

على أن حديثنا هنا هو عن جماعة الكولونيل باكنولد (Bagnold) الذين اجتازوا المنخفض بالسيارات في سنة ١٩٢٧ وقد دون باكنولد ماجاء على غير ما كان يتوقع جمهور الناس ، إذ قال إنه لم يصادف في رحلته حوادث مثيرة أو خطيرة ، فلم يضلوا الطريق ، ولم تتعطل سياراتهم ، ولم تهاجمهم قبائل معادية . وقد قامت الفرقة برحلتها المنهكة من غير حوادث ولا مصادفات ولكنها عادت بوصف واضح لتكوين المنخفض . ويقول باكنولد إنه حتى في أثناء الحرب العظمى الماضية لم تحاول عبور المنخفض دوريات السيارات الخفيفة التي كانت تقوم بعملها في مصر لحراسة حدودها . ولقد بدأ رحلته من مينا ، باب الصحراء الغربيــة ، واختط طريقه جنوبي حافة المنخفض عابرا إلى قارة ، ومنها قدماً إلى سيوة — فبلغ ما قطعه في رحلته ٤٠٠ ميل . ولاشك في أن الرحلة لم تكن نزهة يتفكه بها ، إذ أن المنخفض ليس أرضاً صلبة ، لذلك كانت عجلات السيارات تغوص في التربة الرملية الملحية .

وكانوا في بعض الأحيان يقابلون قطعانا من الغزلان ترعى الحشائش المتناثرة التي تنمو بقطرات النـدى ، والتي يحيط بها من كل ناحية سهول ممتدة من الرمل الأصفر ، تتلاشى بالتدريج في خط الأفق .

ويتـألف المنخفض من سلسلة من الأحواض الضحلة تحتضنها حروف واطئة ملتوية من الحصباء السمراء المحترقة بأشعة الشمس . وتقطع الأكمات على مقربة من منخفض القطارة مجار تشبه الجداول الصغيرة ، غير أن الماء لم يعرف سبيله قط اليها . ومن المشاهد العجيبة في المنطقة الجنوبية للمنخفض انتظام الأكمات الرملية التي تنفصل كل منها عن الأخرى بما يقرب من مائة ياردة (أي نحو تسعين مترا) ، في صورة مجموعة متصلة من السلاسل الرملية . وتجد متناثراً هنا وهناك على الأكمات الرملية جذوع أشجار الغابات المتحجرة بما فيها من عقد وفروع ، وبعض تلك الجذوع غائر بحيث لايبدو منها فوق الأرض الناعمة التربة إلا أعلاها بشكل يشبه مخالب عملاق تمتد في الفضاء . وفي أثنـاء عبور الفرقة للمنخفض عثروا على مواطىء أقدام لا بد أن يكون قد مضى عليها سنوات عدة ، ولكنها مع ذلك لم تكد تؤثر فيها العوامل الجوية . وهناك يلف صمت الصحراء الرهيب كل شيء ، كأنه ملاءة شاسعة ، ذلك الصمت الذي يستحوذ على مشاعر الانسان ، فان لم يسيطر العزم الصادق على أعماله حينئذ ، تغلب ذلك الصمت عليه فساقه في أي اتجاه طلبا للنجاة مما استولى عليه من السأم ، محاولا البحث عن سلوى يلجأ اليها في ذلك العمق الرهيب لسكون المفازة الشاسعة ، وما يزال كذلك حتى يضل الطريق فلا يعرف أمشرق هو أم مغرب . عند ئذ تلحقه الخيبة والهزيمة فيقع في سبات — فان لم تسارع اليه النجدة كان الهلاك مصيره . تلك هي الأراضي التي اجتـازها باكنولد ورفقاؤه .

وتدل الكتابات الجغرافية عن المنخفض على أن مصلحة المساحة المصرية قامت بتخطيطه على خرائط دأرية منذ سنة

١٩٢٧ ، وبذلك أصبحت مساحته معروفة على سبيل الدقة . وتكتنفه الأجرف الرملية من جانبيه الشمالي والغربي ، على حين أنه في جانبيه الجنوبي والشرقي مفتوح منبسط بحيث ان قاعه في معظم هاتين الجهتين يأخذ في الارتفاع تدريجيا حتى يوازي المستوى العام للصحراء الحقيقية ويتلاشى فيه . وهذا التدرج في الارتفاع من قاع المنخفض الى سطح الصحراء يجعل من الصعب تخطيط حد فاصل بين نهاية المنخفض وبداية الصحراء . على أننا اذا اعتبرنا المنخفض شاملا لبقعة الأرض الفسيحة التي ينخفض سطحها عن سطح البحر ، كان طوله من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ٢٩٨ كيلو مترا ، مع عرض يبلغ أقصاه ١٤٥ كيلو مترا ، فتكون مساحته ١٩٫٥٠٠ كيلو متر مربع . ويدخل في حدوده واحة المغارة على جانبه الشرقي ، وواحة قارة — وهي واحة آهلة بالسكان على الدوام — على جانبه الغربي . ويقع الجزء الضيق للمنخفض ، أي الجزء الشرقي الذي به واحة المغارة ، على بعد ٢٠٥ كيلو مترات من القاهرة ، على حين أنه على مسافة لاتزيد على ٥٦ كيلو مترا من البحر المتوسط ؛ أما طرفه الغربي ، بالقرب من واحة قارة ، فانه يمتد الى نقطة تبعد ٨٠ كيلو مترا عن القرية الرئيسية لواحة سيوة ، كما تبعد ١٣٠ كيلو مترا عن حدود مصر الغربية . ويبلغ متوسط عمق المنخفض ٦٠ مترا تحت سطح البحر ، وأعمق نقطة فيه — وهي على مسافة ٣٠ كيلو مترا الى الجنوب الشرقي من قارة — يصل غورها الى ١٣٤ مترا تحت سطح البحر . ومما يسترعي النظر أن من الـ ١٩٫٥٠٠ كيلو متر المربعة التي تؤلف مجموع مساحة المنخفض جزءاً لايقل عن ١٣٫٥٠٠ كيلو متر مربع سطحها تحت مستوى سطح البحر بأكثر من ٥٠ مترا .

وتغطي مساحة كبيرة من قاع المنخفض بتربة سبخة — وهي خليط من الملح والرمل — فيها على وجه العموم قليل من الماء ، وفي بعض البقاع تنبسط السبخة فوق أرض صلبة لايمكن اجتيازها الا بمشقة ؛ غير أنه في جزء كبير من قاع المنخفض تتحول السبخة الى قشرة صلبة أو رخوة تغطي وحلا متشبعا بالأملاح — وهذا الجزء يستحيل اجتيازه . وتقع الأكمات الرملية التي أشرنا اليها من قبل في أقصى الأجزاء الجنوبية للمنخفض ، وهي نتيجة لهبوب الرياح .

ويدل البحث الدقيق في مساحة المنخفض والمنطقة المحيطة به على أنه لم يكن هناك ولا شك اتصال مباشر بين البحر والمنخفض في وقت من الأوقات ، بل إن الماء الذي يوجد بالعيون القليلة التي ينز فيها الماء على مقربة من الجانب الشمالي انما سببه تواصل نشع الماء من تحت الأرض الى سطحها ، ذلك الماء الذي ينبع من نجود اندي (Ennedi) في أقاصي الجنوب الغربي لمنطقة خط الإستواء بأفريقية ، ويسري في جوف صحراء ليبيا ، فيمد الآبار الأرتوازية في الواحات الخارجة ، والداخلة ، وواحة الفرافرة والبحرية ، وسيوة . ويبلغ متوسط المطر الذي يسقط على منخفض القطارة نحو ٢٠ مليمترا في السنة . ويتكون الجرف الشمالي للمنخفض من هضبة واحدة ممتدة بغير انقطاع ، ويبلغ ارتفاعه نحو ٢٥٠ مترا ، أما سفح تلك الهضبة فيبدو كما لو أن نهراً عظيما كان قد اتخذ مجراه على امتداد حافته ثم جف ماؤه فلم يخلف سوى حوضه المحتفر . وفي هذا الحوض — الذي يمتد على أعماق مختلفة ، حتى داخل حدود ليبيا — نجد العيون المائية القليلة في تلك المنطقة . أما العيون التي تستمد مياهها من الأمطار فلا وجود لها هنا .

ورحلة با كنولد ورفقائه كانت عبر الحدود الجنوبية لتلك المفازة السحيقة ، الصامتة ، الرهيبة ، الخالية من الماء ؛ وكانت جمالهم لاتحمل أمتعتهم فحسب ، بل حملوا معهم كذلك كل قطرة من ماء الشرب العزيز الذي كان مقدراً لهم ، لكل منهم قدر معلوم لايتجاوزه في كل يوم . وبلغ الركب آخر الأمر واحة سيوة ، حيث يبدأ بحر الرمال الذي لاساحل له ، وحيث تتلاشى على الخرائط المعالم الأرضية ، وتحل محل الخطوط التي تحددها النقط التي ترمز للرمال تتلوها الرمال ، وحيث يقرأ المرء على الخريطة تلك الإشارة الغامضة : « حدود الأكمات الرملية غير معروفة » .

ولقد عبر با كنولد ذلك البحر الرملي الشاسع بعد عبوره منخفض القطارة بسنتين ، وعاد كذلك بمعلومات قيمة .

* * *

ومن العجب أن بعض الرحلات الاستكشافية قد تبدو ابان القيام بها عديمة الأهمية ، ثم تحل من التاريخ المستقبل محلا رفيعا وتسيطر على بعض حوادثه سيطرة بليغة ، وبخاصة حين يكون مصير الشعوب في ميزان القدر : فلقد وجد الجيش البريطاني الثامن في منخفض القطارة ميسرة منيعة له حينما تقهقر من ليبيا واتخذ له

خطا دفاعيا جديداً يمتد من العلمين ، على ساحل البحر المتوسط الى حرف منخفض القطارة — وهى مسافة تبلغ نحو ٧٥ ميلا .

وقد وقف ذلك الحاجز المنيع عقبة كأداء فى وجه روميل وفرقه المدرعة التى كان يعتمد عليها كل الاعتماد . ثم أصبح ذلك الحاجز المركز الذى وثب منه الهجوم البريطانى حينما تجمع فى ذلك الخط ، ذى الخمسة والسبعين ميلا ، كل ما كان للجيش الثامن من عدد وعدة . ثم صب على « الجيش الأفريقى » الألمانى بتلك الصورة المهلكة ، حتى انه فى مدى ٣٨ يوما تفرق شذر مذر مرتدا الى طرابلس ، متقهقراً مسافة تزيد على ١٧٠٠ ميـل — وهو أعظم تقهقر عرفه التاريخ الحربى . وفى أثناء تقدم الجيش البريطانى تحت لواء النصر فى أراضى ليبيا ، ألفى كذلك ميسرة طبيعيـــة أخرى ، تلك كانت بحر الرمال الشاسع الذى يلقى بالصعوبات فى سبيل وسائل النقل العديدة « الميكانيكية » . وبذلك كان الجيش على الدوام خلوا من كابوس العدو اذا عن له أن يصد الهجوم بهجوم على الجناح أو المؤخرة ، مما كان يفسد جميع الخطط الدقيقة التى وضعها القائد مونتجمرى . أفلا يصح أن نقول ان منخفض القطارة كان اليد المساعدة التى مدتها الطبيعة الى مصر ، لانقاذها من العصابات النازية المغيرة ؟

***

ترى ، هل يظل منخفض القطارة ذا اهمية لمصر فى مستقبلها ، أم هل يبقى مفازة تتحدى جهود البشر ؟ ألا ان هناك مشروعا نافعا تقدم به الدكتور جون بول (John Ball) فى تقرير له . فقـــد اقترح فى سنة ١٩٢٧ ، وأعاد اقتراحه مرة ثانية فى سنة ١٩٣٣ ، بأن من الممكن استخدام منخفض القطارة لتوليد الكهرباء بالقوى المائية . وقد بحث الموضوع بمنتهى الدقة ، وعرض بشىء من التفصيل لطرق تنفيذه . واذا نفذ مثل هذا المشروع فان آلافا من العمال يستخدمون فى بناء الأقنية من البحر المتوسط الى حرف المنخفض ، كما تستخدم المهارة والكفاية الفنية التى تدخرها مصر فى رجال المساحة والهندسة من أبنائها . ذلك الى أنه اذا أمكن العثور على بقعة من الأرض مصمتة لاتتخللها المياه لتكون حوضا للملاحات ، كان من السهل انشاء منجم للملح بمساعدة محطة التوليد الكهربائى ، وبذلك يتيسر انتاج سلعة بثمن زهيد ، وهى الملح الذى لا يستغنى عنه بيت فى البلاد الشرقية .

وبناء على تقدير الدكتور بول يمكن الحصول من محطة الكهرباء على ٣٠٠,٠٠٠ كيلوواط صافية ؛ وان هـــذه القوة الكهربائية تزود المناطق الساحلية على الشواطىء المصرية برفاهية لاشك فى تقديرها ، كما أنها تحول مئات الأميال فى مناطق البرارى والصحارى الى مدن ومجتمعات تنبض بالحياة ؛ فان هذه القـــوة الكهربائية هى التى تجلب معها حيث تسير الصناعة والتجارة والعمل لآلاف الناس .

ومن البديهى أن الأمل فى انفاذ ذلك المشروع يتوقف على الحاجة المستقبلة الى القوة الكهربائية ؛ غير أن أهم جزء فى نفقات أى مشروع لاستغلال ذلك المنخفض المهمل هو الأعمـــال الانشائية اللازمة لحفر الأقنية لمرور المياه من البحر المتوسط الى المنخفض . على أن العمل لا ينقطع بمجرد انشاء هذه الأقنيـــة ، فالحاجة الى أعمال الصيانة لمخازن الكهرباء وما اليها تظل أبداً قائمة ، كما تظل الحاجة الى العمل فى الملاحات .

وأمر آخر ، وهو أن تحويل المنخفض الى بحيرة يسبب زيادة صغيرة فى سقوط الأمطار على السهل الشمالى ، كما يخبرنا بذلك الخبراء فى حسابهم الدقيق . ومن الواضح أن هذه النتيجة تكون من أعظم الأمور نفعا للزراعة فى المناطق الساحلية ، كما أنها ترفع مستوى الماء فى الواحات المختلفة .

ألا إن شبان الأمم جميعها يتطلعون الى المستقبل : وسيكون أمام مصر ، بعد أن تضع هذه الحرب أوزارها ، فرص لا تعد للقيام بأعمال اصلاحية تؤدى بهـا خدمات لنفسها ولغيرها ، وتحتل بذلك محلها بين شعوب العالم الرئيسية ، متمتعة بثمار أعمالها ؛ تلك هى الفرص التى تتيح لأهلها من العلماء ، ومهندسى المساحة ، والأطبـاء ، ورجال الصناعة ، ومهرة الفنيين ، والطلاب ، أن يتقدموا الى الأمام — كل يؤدى نصيبه فى حمل العلم والصناعة مورداً عذبا ينهل منـه جمهور الشعب . ومنخفض القطارة فى مصر ، على حد قول الدكتور بول فى مشروعه المقترح ، لايزيد على أن يـكون أحد الأعمال الانشائية اللازمة بعد الحرب ، وهو عمل ينبغى أن ينال تفكيرا جديا من جميع المهندسين المصريين سواء أكانوا من رجال الكهرباء أم من رجال التعدين ، لكى تصبح ثمرة معارفهم ومهاراتهم نفعا عميما لأبناء جلدتهم .

ستابلتون نرول

على هامش النقد .

خواطر متساوقة

في النقد والأدب والأخلاق

١ — صرخة إنسانية ٢ — قفزة نفسية
٣ — تفاؤل مطمئن

للأستاذ سيد قطب

في عدد « الثقافة » قبل الأسبق قصيدة لشاعر شاب « محمد العلائي » بعث بها إلى أبي العلاء « من القاهرة إلى المعرة » ... هي صرخة إنسان مألوم . قذفت به إرادة الحياة إلى دنيا كدنيا أبي العلاء ؛ ولم تكتف بهذا الشبه في كيانه وموقفه فسمته « العلائي » أيضاً !

وعلى كثرة ما أقرأ من الشعر في هذه الأيام منشوراً في الصحف وغير منشور ، فقد وجدت في هذه القصيدة طعما لا أجده في ذلك الكثير . وجدت طعم الصدق في هذه الصرخة المباشرة ؛ فتحركت في ضميري كل أحاسيس « التعاطف » . ولا أقول كل مشاعر « العطف » كي لا أوذي الشاعر ، الذي ترتفع حساسته المؤذية حتى يقول هذه الأبيات :

شيخ المعرة هل مسّتك أهوالي ؟
وهل طويت زمانا تحت أثقالي ؟

هجرت دنياك لم تشهد مباذلها ... ولم تعرّج على صحب ولا آل
ولم تساير مودّات على ريب ... ولم تصانع أذى عم ولا خال
ولا الوجوه إذا اهتزت ملامحها ... بغمزة السوء من بال إلى بال
ولا العيون إذا رفّت بخائنة ... ولا تميع مسلول ومحتال
ولا حبائل مطموس على جدث ... به رميم الخطايا منذ أجيال
ولم تصعّد أمانيّا إلى شجر ... مدّ الظلال على طين وأوحال
ولم تضاحك غراب البين تحسبه ... غرّيد سانحة من يوم إقبال
ولم تذق خسّة الدنيا إذا مزجت ... كأس المقل بأشواق وآمال
ولم تكابد رزاياها إذا جلبت ... شؤم العثار على ضيم وإقلال

ووجدت طعم الصدق كذلك في هذه الصورة الزرية التي يرسمها للجيل البائس الذي نعيش فيه :

بنو الأوان مسوخ لا كيان لهم ... مرضى القلوب خطيئات لآباء
موتى المشاعر إلا يوم تافهة ... عمي البصائر إلا نحو أقذاء
هدّت كياني بلواهم وحيرني ... داء التفاهة في موتى وأحياء
كأن ثرثرة الأفواه في أذني ... رشاش سم على قلبي وأحشائي
يقيء سمي أشهى ما يفوه به ... خيارهم يوم سراء وضراء
هم كالذباب فلا خير بأنفسهم ... لأصدقاء ولا شر لأعداء
كل سواء : فلا برّ يفيء له ... قلبي . ولا فاجر أصليه بغضائي

يا أخي :

تلك — مع الأسف — صورة بني الأوان ، في قلب كل « إنسان » وهي صورة كريهة شائهة ، ولكنها هي الحقيقة الحقيقة . وقد تكون أنت أشد حساسية بها ، ولكنك لست مفرداً فيها .

وإنني لأود لو تبلغ كلماتي هذه إلى أذنيك ، ولو تجاوزها إلى قلبك ، ولو تستطيع أن تنقل إليك اهتزاز نفسي ، فتشعر — على البعد — بهذا التجاوب معك في دنياك !

* * *

وانتقلت من هذه الصرخة الوجيعة إلى مقال بعدد الرسالة الأسبق للدكتور مندور عن « الرقص الكلاسيكي » وليست النقلة بعيدة — كما يبدو — فقد بدأ المقال هكذا :

« بدا لي أن أكتب عن الرقص ، وذلك أملا مني في تقويم الأخلاق . وقد يبدو هذا غريباً ؛ فكيف نقوّم الأخلاق بالحديث عن الرقص ؟ ومع ذلك فهذا حق ، فالرقص ونقصد به الإيقاعي والتعبيري — لا الرقص الشرقي طبعاً — يورث من يزاوله من رجال ونساء قوة في الجسم تحرر النفس من آفاتها »

نحن إذن في مجال الشكوى من قيود النفس ومن ضمور الأخلاق . في المجال الذي انبعثت فيه صرخة الشاعر الوجيعة ، لم نعده إلى سواه !

وتعجبني قفزات الدكتور مندور — في بعض الأحيان — ففيها طابع الحرارة ، وعنصر الإخلاص ؛ وهو ميسّر لهذه القفزات ، وإن اختلفنا معه في التطبيق هنا كما اختلفنا معه في تطبيق « الشعر المهموس » !

اسمه يقول : « والرقص كما هو رياضة للجسم رياضة للروح . وذلك لأنه يغذيها بشعورين لهما أثر عظيم فى الحياة ، وهما الشعور بالمرح ثم الشعور بالجمال . وليس من شك فى أن هذين الشعورين من أضعف الشاعر عند الشرقيين ، حتى لأحسب أن جانباً كبيراً من ضعف النفوس الذى نشكو منه يرجع إلى الحزن الذى ينزل الخراب بالقلوب ، كما أن الإحساس بمعنى الجمال ومعاييره الصادقة يكاد يكون منعدماً . والنفس الحزينة لا تعرف الثقة والتفاؤل . والحس الذى لا يدرك الجمال لا يحجم عن الخسيس من الأمور »

وكل ما يختص بأحزاننا الهامدة صحيح . ولقد كتبت فى عام ١٩٤٠ مقالا مطولا فى مجلة الشؤون الاجتماعية تحت عنوان : « مباهج الحياة عنصر أصيل فى الإصلاح الاجتماعى » بدأته بهذه الفقرات :

« نحن فى حاجة إلى حظ كبير من الفرح ، لأننا فى حاجة إلى حظ كبير من الحياة ، وإلى حظ كبير من سلامة الفطرة ، وصحة الشعور ، وهما أكبر مقومات الحياة .

« وحظنا نحن المصريين من الحياة ضئيل ، لأن حظنا من الفرح ، ومن المباهج الروحية ضئيل . وإنما يصح هذا القياس لأن الفرح الإنسانى ظاهرة نفسية وعقلية ، تقابل فى الحيوان ظاهرة القفز والوثب ، وفى الطير ظاهرة السقسقة والغناء ، وفى النبات ظاهرة التفتح والازدهار . وهذه الظواهر جميعاً دليل الحيوية والصحة فى الأحياء .

« نحن فى حاجة اذن الى حظ من الفرح الإنسانى الراقى ، لأننا فى حاجة الى حظ من الحياة الصادقة والفطرة السليمة .

« ولكن أهذا كل ما ينقصنا من ألوان الفرح ؟

« الواقع أن حظنا كذلك ضئيل حتى من الفرح الحيوانى الذى يدل على سلامة البنية وصحة الجسد وا كتفاء الغرزة . والحرمان من هذا اللون ربما كان أخطر وأوغل فى العلة ، لأننا بهذا الوضع لا نرتقى فى سلم الصحة حتى الى مرتبة الحيوان ! »

« تشخيص » الدكتور مندور للعلة فى الشرق صحيح . ولكن الذى أخشاه هو ألا يكون قد وقع على العلاج الصحيح . وألا يكون رقصه المقترح هو الدواء المفيد .

فلقد ضرب المثل بالإغريق وإقبالهم على الرقص وأثر هذا الرقص فى تربيتهم الخلقية وفى عبادتهم للجمال . الجمال الذى هو قوام العمل الخلق : « وليس من شك كذلك أن عبادتهم للجمال وحرصهم على التناغم والانسجام قد أحيا فى نفوسهم معانى البطولة ومثل الأخلاق . ومن البين أن أهم صفات العمل الأخلاق هو جماله المشرق » ...

فالذى أعتقده هو أن الإغريق انما أقبلوا على الرقص الذى « يستمد ايقاعه من الموسيقى الشائعة فى الطبيعة » لأنهم قبل أن يرقصوا فاضت نفوسهم بالحياة الدافقة ، وأحسوا موسيقى الطبيعة الشائعة ، فأفاضوا الحيوية الكامنة فى كيانهم رقصاً ، وبادلوا موسيقى الطبيعة الشائعة ايقاعا . ولم يكن الرقص الا منفذاً للرصيد المذخور .

وليس الذى ينقص الشرقيين هو أن يرقصوا على نغمات الطبيعة ، ولكن الذى ينقصهم هو أن يدركوا هذه النغمات ، وأن يجدوا لها رصيداً يكافئها فى نفوسهم فيجاوبوها بهذا الرصيد. ان الحيوية الكامنة هى التى تنقصنا — فيما أحسب — فليس لدينا منها ما ننفقه فى الرقص وما ننفقه فى المرح ، وهما منفذان يتسرب منهما النبع الفائض حين يفيض . فمتى يمتلىء الإناء الفارغ ، حتى يتسرب وحتى يفيض ؟

هذه هى المسألة يا عزيزى الدكتور !

***

ولا تختم الصحيفة على هذا التشاؤم ، ففى عدد الرسالة نفسه بصيص من نور فى مقال للدكتور محمد صبرى عن « علل المجتمع المصرى » جاء فيه :

« لكل مجتمع علله وآفاته ، ولكننا اذا استعرضنا علل المجتمع الأوربى كانت هذه العلل خاصة بمجتمع قد تهيأت له جميع المشخصات القومية ، وتجلت مظاهر القوة ومظاهر الضعف فيه . أما المجتمع المصرى فهو مجتمع فى طور الانتقال »

« والواقع أن عللنا وآفاتنا كثيرة نشأ معظمها من الاستعباد وطول عهوده . وقد أصبحنا وفينا مركب الشعور بالنقص. وهذا واضح جلى فى « معاملات » المصريين والأجانب . وما بقيت هذه العلة بغير علاج حاسم فستظل « الامتيازات » فى نفوسنا وأخلاقنا ، وان تكن قد محيت فى الورق والمعاهدات .

« وقد أصبحت هذه الحالة مدعاة لليأس والتشاؤم ، ففريق من المصريين يقول : إنه لا أمل في اصلاح هذا الشعب . وفريق من الأجانب — وعلى رأسهم المؤرخ الكبير جبرائيل هانوتو — يقولون : إن مصر لا غنى لها عن الأجانب ، وان مركزها الجغرافي الى جانب ذلك يفرض عليها قبول سيطرة الدولة التي تهيمن على البحر الأبيض ، أي قبول الاستعباد في شكل من أشكاله »

ثم يختم كلمته قائلا :

« وقد اخطأ الفريقان في نظرهم وتشاؤمهم ، ويرجع ذلك الخطأ الى أنهما قد أصدرا حكمهما على الشعب المصري باعتباره قد استكمل أداته للكفاح ، وأخذ أهبته وجرب وكبر واستقر. وبعبارة أخرى قد قطع مرحلة الانتقال وظهرت ملامح شخصيته الثابتة من حسنات وعلل وعورات

« ولو انهما انتبها الى أن حالة مصر اليوم لا تزال حالة انتقالية ، وان بعض العلل التي نراها ليست من العلل « المزمنة » وقد تكون غريبة عن جوهر الخلق المصري الصحيح ، وانها اذا عولجت انتفت عنه ، وزالت كما يزول كل عرض ... أقول لو أنهما انتبها الى ذلك لعلهما أن تشاؤمهما أكبر خطر يهدد الفكرة الاصلاحية ، بل وكل فكرة تطمح الى المثل العليا والسير بالبلاد الى أبعد الغايات » .

* * *

هذا التفاؤل مطمئن على كل حال . وفي هذا القول كثير من الصدق . وشاهده قائم في الحياة المصرية القديمة والحياة المصرية اليوم . وقد كانت لمصر مباهجها الحية يوم كانت حياتها توحي بالمرح والابتهاج ... وحتى الرقص ، الذي يريد الدكتور مندور ليستجلبه لنا من الإغريق . قد حفظت لنا منه الصور الفرعونية والآثار مشاهد جميلة فائضة بالحيوية منسقة بالايقاع ، مشعة بالسرور !

فلنستمع الى صرخة الشاعر الإنسانية ، والى قفزة الدكتور النفسية ، والى تفاؤل الدكتور المطمئن ، فكلها دليل حيوية قد أخذت في الظهور

سيد قطب



رئيس ... !

عدت إلى منظاري فوضعته على أنفي وقد أزلت عنه ما علق به من الغبار والصدأ ؛ وما زال لهـذا المنظار سحره العجيب . فهو يريني من دنيا الناس ما لا تريني العين المجردة ؛ فلولاه مثلا ما استوقف بصري هذا الذي أحدثك عنه ، والذي أضيف إليه لقب الرياسة العظيم ، وما هو من ذوي الجاه ولا العظمة ، إذ ما زاد على أنه كبير الخدم بالمدرسة التوفيقية الثانوية.

وأنا يا قارئي العزيز رجل بسيط ، فقـد لا أرى شيئاً من العظمة ولا من الرياسة في بعض من تواضع الناس على أنهم عظماء ورؤساء ، وقد أرى العظمة كل العظمة والرياسة كأحسن ماتكون الرياسة في رجل كالذي أحدثك عنه . ولست بالضرورة أدعوك إلى أن ترى ما أرى ، فأنت وشأنك ، وإنما أدعوك لأن تقرأ هذا في غير سخرية مني ...

إن « عم أحمـد حسين » كما يسميه الطلاب « والريس أحمد المهدة » كما يدعوه زملاؤه ، أو على الأصح مرؤوسوه ، هو رجل يريني منظاري من خلقه وسمته ما يحملني على أن أرى فيه رئيساً بل ورئيسا محبوبا ان أردت الحق .

أول ما حببه الى وقاره اذا تكلم أو مشى ؛ ووفرة شعوره بشخصيته . والأنفة ممن كان في مثل موضعه تحمل على الإعجاب والمحبة ؛ فكم نسى الأنفة كثيرون هم أرفع درجات منه بحكم العمل . وليس في أنفته شيء مما يرى في غيره من ذوي الرياسات من صلف أو غرور ، وإنما هي الكرامة تلمحها في وجه « عم أحمد حسين » حين يأمر في صلف أو ينهر في غير موجب ، فتراه عندئذ يرشق آمره أو ناهره بنظرة ثائرة فيها التمرد الصامت ، والعتاب الذي يشبه الازدراء ، وبين يديه ثمانية وثلاثون عاما قضاها بين جدران ذلك المعهد العتيق . فمثله ليس بالشخص الذي يرهب سلطان متسلط وقد درج تحت بصره في هذا المعهد مئات من رجالات هـذا البلد فما أساء اليه أحد بكلمة .

وحببه الى كذلك حيويته ودأبه واخلاصه في عمـله وعظيم تأثيره في مرؤوسيه وقد علت به السن ؛ فما تدور بعينيك في ركن من أركان الدار الا طالعك منه « عم أحمـد » في جلبابه الجيد النظيف وقد تجعد شعر فوديه الأبيض تحت طربوشه القاتم الطويل يدفعه دائما الى الخلف قليلا بحيث تتدلى خيوطه فوق أذنه اليمنى ، وكأنما يكسبه هـذا الوضع مهابة الى جانب ما يكسبه منها شعره الأبيض وطول أعوام خدمته ، أو هكذا خيل الى منظاري ...

ويعجبني منه ذكاؤه وسرعة خاطره وخفة روحه ؛ فهو سريع الفطنة الى ما يسرك من ألوان الحديث وكيفيه الخطاب ؛ فيحدثك وهو ينظر بعينيه اللامعتين اذ تسمع ، فإن لمح أثر ارتياحك على محياك استرسل ، وإن آنس فيه كدرة أدار الحديث في لباقة وسرعة حتى يقع على ما تحب ...

وأجمل حديثه ما كان عن تاريخ المدرسة وتلاميذها القدماء . فيسمعك أسماءهم كما كانت تسمع في فناء الدار ، خالية من ألقاب العزة والسعادة والمعالي وما اليها ، وكأنه يريد أن يلقي في روع طلاب اليوم أن هؤلاء كانوا بالأمس مثل ما هم عليه الآن ، وهو ايحاء يحبه الطلاب . ومن يدرى فلعل فيهم من يحمل في غـد أكبر الألقاب ، أو من يستغني بنباهة اسمه عن جميع الألقاب .

على أن أكرم خلال ذلك الرئيس هي وفاؤه لكل من يعمل معهم ، وغيرته على سمعة ذلك المعهد الذي يعمل فيه ، وإن جميع من عرفوه ليلمسون فيه هذا الوفاء .

وإذا شئت دليلا على وفاء هـذا الرجل ، فاعلم أنه يرسل كل عام في عيد الميلاد خطابا الى مستر اليوت(1) بانجلترة ؛ ومستر اليوت هـذا كان ناظراً للمدرسة التوفيقية منذ ربع قرن ، وهو لا يملك له اليوم ضراً ولا نفعا ، ولذلك فوفاؤه لا تعلق به شائبة من تلك الشوائب التي قلما خلا منها « وفاء » في هذه الأيام ، وقل في الناس من يوادك الا لعلة .

أرأيت معي أن « عم حسين » خليق بأن يدعى الرئيس ، وبأن رياسته خليقة بأن تحب ؟ ان كنت في ريب من هذا فأخطر ببالك من تطمئن الى الاعتراف لهم بالرياسة ، وانظر ان كنت تجد فرقا بينه وبينهم ، ومرد الأمر فيما تحكم الى ذمتك . أما أنا فلست أشك في أنه أكرم عندي من كثيرين ، وإذا كان هـذا الخطاب الذي أشير اليه دليلا على ديمقراطية الناظر القديم ، فان فيه لك شهادة على أن كبير الخدم أحمد حسين جدير بأن يذكر وبأن يحب .

الخفيف

(1) تجد رد مستر اليوت عليه هذا العام معرباً في البريد الأدبي

من دعاة الحــــرية

جويو

للأستاذ زكريا ابراهيم

ليس أكثر من دعاة الحرية فى هذا العصر ! وليس أكثر ايغاراً للصدور من دعاة حرية الفكر ! وما أنا بغافل عن تلك الضجة التى أثيرت منذ أمد قريب ، حين عرض أحد الكتاب لقضية الحرية الفكرية ... ومع ذلك فاننى أجد نفسى راضياً بأن أثير هذه المسألة الشائقة الشائكة معاً ، لأجل خاطر «جويو» صاحب هذه الدعوة !

وصديقنا جويو فيلسوف أصيل جمع بين العمق والطرافة والوضوح . وهو واحد من أولئك الفلاسفة القليلين الذين استطاعوا أن يفهموا الفلسفة على أنها قطعة منتزعة من قلب الوجود ، وليست مجرد أفكار عقيمة لا تمت الى الحياة بأدنى سبب . فالفكرة الجوهرية فى مذهب جويو هى أن « الحياة » جوهر الوجود ، وأن الفكر ماهو الا جانب من جوانب الحياة . وقد استطاع جويو أن يوفق بين النزعة الفردية والنزعة الاجتماعية على أساس هذه الفكرة ، فذهب الى أن المثل الأعلى للحياة الفردية ، انما هو ذلك الذى تتمثل فيه الحياة الحافلة ؛ والحياة الحافلة هى تلك التى لا تكون فيها الذات مغلقة على نفسها ، بل تكون قادرة على أن تسع غيرها من الذوات . ومعنى هذا أن نقطة البدء فى فلسفة جويو هى « الفردية » لأن الحياة الخصبة الحافلة انما هى الحياة الفردية التى لا تكون فيها معارضة بين الفرد والمجموع ، اذ تمتد الذات حتى تشمل المجموع وتضمه تحتها !

وقد نشأت فكرة الحرية عند جويو كنتيجة لهذه النزعة الفردية الخاصة . ونحن ندع جويو يعبر عن هذه الفكرة بعبارته التى تفيض قوة وحماسة ؛ فيقول :

« ... ألا يمكن أن يأتى ذلك اليوم الذى فيه تزول كل العقائد السائدة التى يتمسك بها الناس ، بحيث لا يبقى أى ايمان عام يستأثر بالنفوس أو يتملك العقول ؟ ألا يمكن أن يحين ذلك اليوم الذى فيه يصبح الاعتقاد « فرديا » خالصا ، فلا تعود هناك سنة بل خروج وابتداع ؟ ان الرغبة فى التحكم فى العقول هى أسوأ بكثير من الرغبة فى التحكم فى الجسوم ، فمن واجبنا اذن أن نتحامى أولئك الذين يريدون أن يفرضوا أنفسهم علينا ، أو أن يجعلوا من أنفسهم موجهين لأفكارنا ، أو قادة لضمائرنا ... أجل ، يجب علينا أن نتجنب هؤلاء كما نتجنب المصائب والمحن ! فقد آن الأوان لأن نسير بمفردنا ، وأن نفزع من أولئك الوعاظ الخادعين ... علينا أن نصبح نحن قادة لأنفسنا ، فلا ننشد الوحى والإلهام الا فى نفوسنا . أما المسيح فلم يعد موجوداً ، لأنه ليس ثمة ايمان عام بعد اليوم ! فليكن كل واحد منا اذن مسيحا لنفسه ، وليتصل بربه كما يشاء ، وليعتمد على الهه كما يستطيع ... وليتصور كل منا هذا الكون كما يحلوله ، وليختر أى نظام يروقه . أما أولئك الرجال الذين قد يستطيع المسيح أن يقول لهم : ما أقل إيمانكم ، فطوبى لهم اذا كان معنى هذا أنهم رجال مخلصون لا يريدون أن يخدعوا عقولهم ، أو أن يلغوا ذكاءهم ، أو أن ينتقصوا من كرامتهم ! طوبى لهؤلاء القوم ، لأنهم يملكون روحا علمية حقيقية ، وفكراً فلسفيا صادقا ، ولأنهم لا يؤخذون بالمظاهر ، بل يأخذون الحذر حتى من عيونهم وعقولهم ، ولأنهم يبدأون دائما من جديد ، فاحصين احساساتهم ، وممتحنين استدلالاتهم . ان هؤلاء وحدهم هم الذين يستطيعون أن يظفروا بجانب من الحقيقة الخالدة ، لأنهم لا يظنون فى أنفسهم أن فى وسعهم أن يظفروا بالحقيقة كلها ؛ فلديهم اذن قدر كاف من الإيمان الحقيقى الذى يدفعهم الى أن يبحثوا دائما ، بدلا من أن يركنوا الى الراحة والهدوء ، مكتفين بأن يرسلوا الصرخة العالية قائلين : لقد وجدنا ! لقد وجدنا ! أجل ، إن هؤلاء هم الشجعان الذين يواصلون السير والتقدم ، حين يتوقف غيرهم ويركن الى الدعة والخمود ؛ فالمستقبل لهم وحدهم ، وفى أيديهم يقع مستقبل الإنسانية فى العصور المقبلة ! »

هذه هى الحرية الفكرية كما يفهمها جويو ، فهى فى نظره ضرورة من ضرورات الحياة الحاضرة ، وحاجة من الحاجات الهامة التى يقوم عليها مستقبل الإنسانية . وليس أحب إلى نفسى من هذه العبارة الخالدة التى يصور فيها جويو موقف الإنسانية اليوم فيقول :

أدب الشام الحديث

للسيدة وداد سكاكيني

منذ القدم اقتسمت بلاد العرب أدبها الأصيل ، فكان لكل قطر شعراؤه وأدباؤه . وكان الشعر فى آثار العرب الثقافية أول ما جاد به دهرهم وأطل من آفاقهم ، فكان فى الجاهلية موزعا بين قبائل وعشائر لكل منها شاعرها الذى يحمى ذمارها ويروى أخبارها ، وكان لنجد شعراؤها كما كان للحجاز أندادهم من أهل القرائح والبيان . بيد أن الأدب الذى انتهى إلينا منهم والشعر الذى أثر عنهم لم يكن بتلك القسمة فى عهود الجاهلية متميزاً بعضه من بعض ، إذ كان نسيج القصائد فى تلك الفترات متشابها ، ولم يستطع دراس الأدب من قدامى ومحدثين أن يكتنهوا الفروق بين أولئك الشعراء ، فالجزالة والفحولة حتى فى شعر النساء كانت شركة بينهم ، وسلامة الطبع والجبلة موهبة فيهم ، والسذاجة والبعد عن التكلف من سجاياهم ، أما الفروق الفنية فقد بدت فى الشعر والنثر بعد الإسلام ، فكان شعراء أمية السياسية فى طبيعة قصائدهم غير شعراء الحجاز الغزل . وتقضى الأمر فى قسمة الأدب بين البلاد العربية فى العصور العباسية ، فظهرت الميزات والعلامات بمياسم أكثر انطباعا وأشد وضوحا ، فاذا للعراق أدب فياض شاعت فى مجاليه مطارحة الندامى وأغانى القيان ومجون الشاربين ، وإذا للأندلس طائفة من الشعراء انسرح خيالهم ، ورق شعورهم ، فابتدعوا الموشحات والمقطوعات ، وخلعوا على أدب العرب وشاحا هفهافا ، وفى نسمات الوادى الكبير ، أطلقوا فى ثناياه أعنة الخيال من روح الأدب الغربى الذى رف عليهم ومن صوب الإسبان أو عبر نحوهم من جبال (البيرنيه) .

وكان ثمة شعر مطبوع وأدب بهيج الألوان ، نجما فى آفاق الشام ، وقد نمتهما دارات غسان ورعتهما ضفاف بردى ، ورفت بهما أفانين (جلق) بغوطتها الخضراء كيوم العصابة التى درّ درها ونادمها حسان فى الزمان الأول ، فقد عرفت الشام بلون من الشعر سماه المعاصرون من عرب ومستشرقين بالطريقة الشامية ، وهو ضرب من البيان ظهر فى آثار أبى تمام والبحترى وأبى العلاء فيه اللفظ البليغ والصناعات ذوات التحاسين ، حتى بات شعر الشام ، كعصب اليمن ، أفوافه مزركشة ومطارفه منمنمة ، فكأنه نمارق على أرض أو ديباجة على جدار

وإننى إذ أرسم صورة لأدب الشام ، لا أقول بالاقليمية العصبية ولا أغلو فى الرأى والتصوير ، وإنما أقصد إلى تلك المزايا التى اختص الله بها كل بلد من الأرض ، فجعل فيها البيئة ذات خلق وتكوين ، تؤثر فى سكانها وتطبع المرء بمزاجها ، فتجعله حسب أطوارها ومقتضاها

«إننا على ظهر سفينة هائلة كالتنين الضخم ، وقد اقتلعت الأمواج العاتية دفة هذه السفينة ، وحطمت الرياح الثائرة ساريتها . فالسفينة الآن ضالة فى المحيط ، تتخبط ذات اليمين وذات الشمال ، مثلها مثل الأرض السابحة فى الفراغ ! وهى تسير بالمصادفة والاتفاق وتضرب ضرب عشواء ، مدفوعة بالرياح السوافى ، كأنما هى حطام هائل يحمل فوق ظهره الناس ... وقد تصل هذه السفينة إلى هدف مجهول ، أو غاية غير معلومة ، فتبلغ الإنسانية غرضا لم ترم إليه من تلقاء نفسها . ولكن ليس ثمة يدٌ تقودنا ، ولا عينٌ ترعانا ؛ والدفة قد تحطمت منذ زمن بعيد ، بل لعلها لم توجد يوما ما ، فعلينا أن نصنع هذه « الدفة » ؛ وتلك مهمة خطيرة ، ولكنها عملنا ، ومن واجبنا أن نقوم بهذا العمل » .

نحن إذن فى دور اضطراب وصراع ، فلابدّ لنا إذن من أن نفكر بحرية فى الطريقة التى نخلص بها من هذه الفوضى . والحرية التى يدعو إليها جويو ليس معناها الفوضى ، وإنما هى حرية تنطلق معها النفوس من نير العبودية ، كما انطلقت الأجسام من نير الرق القديم . العالم — اليوم — يتحرق شوقا لهذه الحرية ، فقد ظل الفكر أمداً طويلا حبيس الأنفاس ، لا يفك إساره إلا بالقدر الذى يهيىء له أن يسير بضع خطوات فى حظيرة الإيمان الضيق ! ولكننا نريد أن ينطلق الفكر كما يشاء ، حراً لا تقيده سلطة ، ولا ترده قوة ، اللهمّ إلاّ سلطة المنطق ، وقوة المعقول !

(السويس) **زكريا ابراهيم**

من خطرات هذا الرأي ما صوره الشاعر ألفريد دوموسيه ، فان له رواية سماها « الكأس والشفاه » وصف فيها رجلا من سكان التيرول يقول الشعر ويروي سيرته ، فيعرضه الشاعر بمعاريض أولئك الأشداء الذين سكنوا في الأرض القاسية ، فعلوا قمم الجبال على صهوات خيولهم ، ولم تتطامن أخلاقهم كأولئك الذين سهلوا إذ سكنوا في السهول

وما ينكر المنصف أن الأدب كالمخلوق الحي ينمو وينضج وتسري في أعراقه دماء يطلب العارفون فيها الأصالة والنشأة التي تخضع لنوازع ثقافية وأحداث اجتماعية وسياسية

فأدب الشام الحديث هو من هذا القبيل أدب عربي الوجه والروح وقد صقله الفن والتطور وظهرت عليه مغارس الوطن ، ولم يولد هذا الأدب ولادة ارتجال ، وإنما فتحت الشام العيون بعد الحرب الماضية على حركة فكرية جديدة ويقظة ثقافية بلغها شذاها من ضفاف النيل فودت لو أتاح لها العصر منها مثيلا ، وكانت مثل سجين لم يجد أرفه لنفسه وأقرب إلى قلبه من أدب المصريين فتأثرت الشام نهضتهم ومضت على غرارهم في نشأتها الحديثة . وكم راجت فيها سوق الأدب لقصيدة قالها شوقي أو حافظ ، ولكتاب ألفه المنفلوطي أو الرافعي ، وكان في تلك الآونة نفر من الشاميين متنورين لكل نهضة ، بعضهم عرف الغرب وورد مصر ورود النحل على الأزاهير ، ثم صدر عنها فعاد إلى الشام ينشئ المجلات وينشر الصحف ويحاضر في المجامع والندوات داعيا إلى نشر الثقافة والأدب . وأسس المجمع العلمي العربي في دمشق على الفصحى وحفاظ أمجادها وذخائرها فجمع بين لغوي مدقق وعالم فيلسوف ومؤرخ محقق وشاعر أديب ، ورفدت أعماله مجلة ذاعت في أقطار العرب . وكان من السوريين شعراء قد استيقظوا بعد الحرب الفائرة على صيحات البعث والتحرر والتجديد فأخذوا بشيء من القصيد كأنه الينبوع يفيض حينا وينضب حينا ، وفيهم من حذا حذو جرير والأخطل حتى قلدهما في حلية القريض ، ومنهم من أدمن الإلمام بالمتنبي حتى سرى في بيانه روح أبي الطيب وعنجهيته . وكما كان في كل بلد أدب للشيوخ وأدب للشباب فكذلك حدث في أدب الشام ، وليس بين الفريقين تنابذ وجفاء ، فالشيوخ رسخ مجهودهم في اللغة والعلم والبحث ، والكهول والفتيان امتلأت نفوسهم بالأمل والطموح ، واكتسبوا بالتحصيل ما بذوا به الأوائل ، فقد جمع بعضهم بين الثقافتين العربية والغربية ، فانبعثوا وراء المثل العليا يسترشدون بالهداة ويتأثرون أعلام هذه النهضة التي تنوروها من قريب ومن بعيد

وان في أدب الشام الحديث لألوانا وفنونا . ففي الكتابة والإنشاء فريق لو أتيح لهم ذور نشر وطباعة تفي بآثارهم فتذيعها في الناس ، أو لو كانت صحفهم تجاوز آفاقهم ، لشاع صيتهم ، وفي هذا الملأ مواهب فنية في النقد والقصص ، لولا إيثار أصحابها لوظائف الدولة لأثر عنهم كل أثر نفيس

إنه لأدب طريف الألوان أصيل السمات ، ولكنه ضئيل الجرم ، محلي الشيوع ، مقيد الخطوات . وفي مصر أدب جبار قيضت له أسباب الإنتشار والإزدهار ، والشام سوق لهذا الأدب المصري بأكثر مما هي فيه لأهلها ، فلو سئل المثقف أو المتعلم في ديار الشام عن مصر وأدبائها وكتبها وعلمائها ، لأجاب بما يعجب ويطرب ، إذ أن أدب مصر يعيش في تلك الديار منذ ثلاثين عاما كما يعيش في حمى الأزهر وتحت قبة الجامعة ، وفي ندوات الثقافة المصرية ، غير أن مصر التي يجمل بها عتاب الحبيب لا تعرف من أدب الشام إلا القليل ، وكلتا الشقيقتين على حق فيما ترى بهذا الشأن .

ولعلي أتحدث قريبا عن فنون هذا الأدب مزوداً بذكر أعلامه وكاتبيه وأهل القصة والنقد فيه

وداد سكاكيني

صفحة حزينة . . . !

[إلى زوجتي الشابة المثقفة الطيبة الخلق
شريكة حياتي ورفيقة دراساتي] .

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

بعد أيام ...

مماتك في الريعان أصمى مقاتلي
وفقدك من عيشي مثير مشاكلي
وكنت الغنى من مشكل بعد مشكل
وعقدات نفس تستديم قلاقلي
مشاكل شتى : حاجة النفس للهوى ،
وحاجة ذي حس ، وحاجة عاقل
جمعت لي الدنيا — فأغنيت معدمي ،
وأمتعت محرومي ، وزينت عاطلي
أدور بعيني كالشريد بلا هوى ولا منزل مثل الهوى والمنازل
وما منزلي إلا الذي أنت ملؤه وما من هوى إلاك بين العقائل
رأيت الغواني وهي لهو ومظهر وأنت مزاج من جميل وكامل
ورقة إحساس ، وعفة لفظة ولحظ وتفكير ، وحفل فضائل
تعزيت لو أني كغيري من الورى
وأنك أنثى كالنساء الحوامل
ولكنني نفسا وحسا مقعد
وأنك طب للنفوس العلائل
أقول لدهري فيم ، فيم حرمتني ؟
وكل عزائي كان فيها ونائلي
أسائله في كل يوم وليلة ولن ينتهي مهما حييت تساؤلي
أراني مع الأيام تزداد لوعتي ، وعهدي بها للنقص في قول قائل
ويوحشني ، أني وحيد وأنني
مع الناس — أبغي الأنس في غير طائل
يزلزلني همي ، فأخرج هائما أسكن في هذا الفضاء زلازلي
فأذهل أن ألقى السماء وضيئة تشيع على الآفاق بسمة آمل
وأن تكتسي الأشجار أنضر خضرة
ويرقص موج النيل رقصة جاذل
بنا تسخر الأقدار : موت وأدمع
وثمة أنوار وزهر خمائل ؟ !
خيالك في التابوت أثلج بي دمي ،
وأحرق أعصابي ، وهد مفاصلي
وغيض دمعي أن رأيتك جثة
وجسمك معروق العلى والأسافل
ووجهك شمع ذو شحوب وصفرة
كرسم عتيق في التصاوير حائل
وشعرك غربيب ، وهدبك أسود
كذيل غداف حالك الريش ذائل
وما أنس لا أنسى جبينك عاليا
قويا — على قيد الردى — غير ناكل
كأن الردى قد هاب ما في وطابه
من العلم عصريا وعلم الأوائل
وأذكر زوجي كيف كانت إلى مدى
قريب ، وما اختصت به من شمائل
فيهمل دمعي هامرا بعد حبسة
تفجر مزن حافل الضرع هاطل
وأعجب من شأن الحياة وسرها وأعجب من شأن المنون العاجل
ويبلغ من فعل الزمان تعجبي ، فأضحك كالفجوء من فعل هازل
هنا كان إنسانان : شطر وصنوه
سعيدان في فيض من العطف شامل
ففيم انصداع الشمل ، شطر على الثرى
وآخر من تحت الثرى والجنادل
لقد كان لي في الحب محييا مضاعف
وحبك — بعد البين — لا شك قاتلي

ذكرى

على الرغم مني أن خلا منك معهد
وأنك ذكرى كالصدى يتردد

وأنت التي كانت عميقا شعورُها
وتفكيرُها فهى الوجود المؤكَّد

طواك الردى ما بين يوم وليلة   وأهنأ هذا الناس نحن وأسعد

وَجِدُّ الردى هزلٌ ، وأحكامه هوًى
ومنطقه فوضى القياسِ مفنَّد

قَضى أن تموتى حتفَ أنفك غضَّة
وما أنت كُبرانا ولا أنتِ أزهد

وأن يتوافَى نحو بيتك صحبُنا   فيلقاهم فى البيت أرملُ مُفرد

يصبِّرنى أهلى شجاهم تهالكى   يقولون هذى أختها تتجلد

وما أختها؟إنى عَدِمْتُ قرينتى   وأختى ، ومن أرجو ، ومن أتفقد

تسائلنى أمى ضحًى: أين تقصد؟   فأُخفِم لا أدرى ، فيَنْمى تشرُّد

وأغمض جفنى حين تطرق مضجعى
ليُسكن روعَ الأم أنىَ أرقد

يُهيِّج ما بى أن ألاقى معزِّيًا
وما بى — وإن طال المدى — ليس يخمد

وجانبتُ من لم يبلغ النَّعْى سمعَه   حذارَ سؤالٍ عنك لا يُتعمَّد

وأعدل عن هذا الطريق لغيره   فقد طالما جُزْناه نهوى ونصعد

وخير رفيقٍ أنتِ فى كل رحلة   وخير سمير للحديث ينضَّد

ونجلس فى حضن الطبيعة، صمتُنا   مناجاتها — إن الطبيعة معبد

ونجلس للاسفار ندرسها معا
كأنْ ليس غير الكُتْب فى العيش مقصد

فلا درس إلا وهو عندك أرشد   ولا لهوَ إلا وهو قربَك أرغد

أمثلك لى خلٌ كريمٌ موافق!   أبعدك نعمى فى الحياة وأسْعُدُ!

وهل متعة إلا عليها موكلٌ   يحرِّمها من ذكرياتك مُرْصَد

بحسبىَ أيام قلائل عشتُها   بواحة روضٍ حولها العمر فدفد

هنيهة أنسٍ ، قبلها العيش صفحةٌ
بياضٌ وعيشى بعدها اليومَ أسود

ووالله لا أدرى أدهرى أذمُّه
على قِصَرٍ فيها — ولا شيء مُخَلَّد ؟

أوانىٌّ على ما خصَّنى فأذاقنى
ولو طرفاً من ذلك الخلد أحد ؟

برغمىَ أن قد عاود الشعر مِقْوَلى
وأن كان فى مرثاكِ منه التجدد

وقد كان يستعصى علىَّ ، فما له
كدمعى معينٌ سيلُه ليس يجمد !

تعجَّب أصحابى وطال سؤالهم   يقولون لى فى كل يوم تُقَصِّدُ

وما كان أغناهم عن القول لو دروا   بأنىَ طول الليل يقظان مُسْهَدُ

وكنتِ عروسى فى الحياة ، فلاتَنى
عروسَ قصيدى تلهمين وأُنشد

عبد الرحمن صدقى

كرسى مجلس النواب

للأستاذ محمد الأسمر

[نظم الشاعر هذه الأبيات للشبان النواب بمناسبة فوز أصدقائه الثلاثة : مصطفى بك أمين ، علي أمين ، كامل الشناوى فى المعركة الانتخابية].

تهنئاتى : ثم كونوا عندما   قلتمُ قبل دخول (المجلس)

واحذروا (الكرسى) كم مرَّ به   معشرٌ غيركم ، ثم نُسى

لا تكونوا فوقه مثل الذى   يحضر (الجلسة) مثل الأخرس

أو كمن يهتف للزور به   فإذا الحق بدا لم ينبس

أو كمن تصفيقه ثروته   وهى عندى رأس مال المفلس

أو كمن قيل له كن فوقه   صنما ، جئتَ لهذا فاجلس

أو كمن يشتم قوما ظالما   فهو يعوى كعواء الأطلس

أو كرهط فوقه سيماهم   عدم الفهم ، وهن الأرؤس

أو كمن نام به ليس له   من وجود فيه غير النَّفس

أو كعريان رآه متجراً   فهو فيه قاعد كى يكتسى

بئس من أكرمه الله به   فأبى إلا حياة التعس

يحمل الكرسى منه جثة   أيها الكرسى لا تبتئس

هذه الدنيا حظوظ كلها   وكذا حظك ، فانظر وائتس

***

يا أزاهير الشباب المرتجى   حققوا فيكم رجاء الأنفس

أنتمُ ضوءٌ جديدٌ علَّه   فى غدٍ فجرٌ لهذا الغَلَس

محمد الأسمر

هذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

مزار الغبط والحسرة

فى مدينة نيويورك رجل اسمه توم وعمره ، ٥٧ سنة . عاش منها ٤٨ سنة لم يبتلع طعاما ، ومع ذلك فهو يأكل أى طعام تشتهيه نفسه . سدت قناة الابتلاع (الزور) عنده وهو فى التاسعة من عمره إثر شربه لسائل ملتهب حرق الزور ولم يفد الطب فى علاجه فأغلق إلى الأبد . واضطر الجراح إلى فتح نافذة مستديرة قطرها بوصة وربع فى معدته ليتناول منها غذاءه

واندفعت أغشية المعدة من هذه الفتحة فكونت ثنية قطرها ثلاث بوصات . فان أراد أن يأكل رقد على ظهره وفك الأربطة عن وسطه ، وأزاح وسادة عن فتحة المعدة ، ثم يثبت فيها أنبوبة قصيرة من المطاط . وبعد ما يمضغ طعامه يضعه فى معدته عن طريق الأنبوبة . وبهذه الطريقة تناول مالا يقل عن ٣٠ ألف وجبة طعام لم يشعر فيها بأية مضايقة .

مارس هذا الإنسان كثيراً من الألعاب الرياضية وهو غلام واشتغل فى عدة مهن يدوية ، فلم يلحظ زملاؤه شذوذه اذ كان يتمتع بصحة جيدة . إلى أن أكرهته ظروف العمل إلى الإشتغال فى حفر الخنادق فألهبت الحركة المستمرة أغشية المعدة المكشوفة حتى أدمتها واضطر إلى الالتجاء إلى أحد المستشفيات ، وهناك اكتشفه الطبيبان ولف ، فوجدا فيه حقل تجارب لن يسمح الزمان بمثله . فى هذه المعدة المفتوحة يستطيعان أن يكشفا أسرار أمراض المعدة ، وأسرار التغذية ، وتأثر عملية الهضم بالانفعالات النفسية .

وتمكنا من إغرائه بالوظيفة الثابتة فى معملها ، وبما يؤديه للانسانية من خدمات ، فقبل منذ ست سنوات أن يعمل معهما . فاشتغل فى صباحه حقل تجارب ، وبعد الظهر كمحضر فى معمل مستشفى جامعة كورنل الطبية .

وفى مثل هذا الانسان تسهل دراسة الظواهر المعدية بانفاذ آلة مثل منظار الجواسة المزود بالضوء إلى داخل المعدة . ولهذا ظلت حياة هذا الإنسان طوال السنوات الست الماضية ممتزجة بالتجارب الطبية . فانه أغنى الطبيب عن استعمال منظار المعدة الذى لايتيح لفحص الإنسان العادى أكثر من عشر دقائق .

ومن أهم الدراسات التى أجريت عليه فحص العلاقة بين الانفعالات النفسية ومرض قرح المعدة . فبينما الطب يتقدم بخطوات واسعة فى دراساته فان عدد الإصابات بهذه القرح يزيد ، ويعتقد عدد كبير من الباحثين انه نتيجة للاجهاد العصبى والقلق فقدمت لهم معدة توم الدليل العلمى بأن القلق المتواصل ، والغضب ، والعداوة تكون إفرازات تؤدى إلى الإصابة بالقرح .

ويتفق أكثر الأطباء على أن هذا المرض نتيجة لزيادة الإفرازات الحمضية ، ويصف الطبيبان ولف تطوراته ، بأن الانفعالات النفسية المتعلقة بالقلق أو الغضب تصحب زيادة إفرازات الحوامض العادية ومعها فيض من الدم مما يؤدى إلى غمر أغشية المعدة وتمددها . ويصحب هذه الانفعالات أيضا انقباض شديد فى المعدة .

وفى مثل هذه الحالات يسبب الاحتكاك البسيط بمواد الغذاء الصلبة تسلخات دموية رفيعة فى الأغشية يثيرها اتصالها بالسوائل الحمضية ، المعدية الغير العادية فتزداد الإفرازات الحمضية ، ويزداد غمرها بالدم وتمددها ، فتبدأ حلقة إصابة خطيرة فى المعدة ، فتتصل مادة البيبسين الهاضمة بأغشية المعدة الأصلية وتأكل جزءا منها فتسبب قرحة .

ولا تهضم المعدة نفسها أو تأكل أجزاءها لأنها مبطنة بغشاء مخاطى قلوى سميك يقى أغشيتها فلا تلمسها المواد الهاضمة . فاذا انغمس الإنسان فى الانفعالات النفسية المقلقة فإنها تأكل نفسها بطول المدة مبتدئة بالقرح ، مما شاهده الطبيبان فى معدة توم ، فكانا يعرضانه لمختلف الانفعالات النفسية ، ويراقبان التغير الذى يطرأ على معدته ، ولكنه من الطبيعى أن توم لم يصب بقرح المعدة لأن فترة إقلاقه وانفعاله لم تكن طويلة بل كانت فترات قصيرة .

والأشخاص المعرضون لهذه الإصابات هم ممن يجدون لذة فى الانفعالات وآلامها ، فيصرون على أن تكون رفيقتهم فى حلهم وترحالهم وفى عملهم وراحتهم .

ولم يؤثر تعاطى الكحول ولا التدخين أياكانت نسبته على معدة توم ، لأن مخاط المعدة القلوى كان يقى أغشيتها من فعل حوامضهما . فإن تعرضت المعدة لحوامض قوية لا تكفى لتعادلها



همس الجنون

للأستاذ نجيب محفوظ

ما الجنون ؟

إنه فيما يبدو حالة غامضة كالحياة وكالموت ، تستطيع أن تعرف الشيء الكثير عنها إذا أنت نظرت اليها من الخارج ، أما الباطن ، أما الجوهر ، فسر مغلق . وصاحبنا يعرف الآن أنه نزل ضيفا بعض الوقت بالخانكه ، ويذكر — الآن أيضا — ماضي حياته كما يذكره العقلاء جميعا ، وكما يعرف حاضره . أما تلك الفترة القصيرة — قصيرة كانت والحمد لله — فيقف وعيه حيال ذكرياتها ذاهلا حائراً لا يدري من أمرها شيئا تطمئن اليه النفس . كانت رحلة إلى عالم أثيري عجيب ، ملئ بالضباب ، تتخايل لعينيه منه وجوه لا تتضح ملامحها ، كلما حاول أن يسلط عليها بصيصا من نور الذاكرة ولت هاربة فابتلعتها الظلمة . وتجيء أذنيه منه أحيانا ما يشبه الهمهمة ، ما إن يرهف السمع ليميز مواقعها حتى تفر متراجعة تاركة صمتا وحيرة . ضاعت تلك الفترة السحرية بما حفلت من لذة وألم . حتى الذين عاصروا عهدها العجيب قد أسدلوا عليها ستاراً كثيفا من الصمت والتجاهل لحكمة لا تخفى . فاندثرت دون أن يتاح لها مؤرخ أمين يحدث بأعاجيبها . ترى كيف حدثت ؟ ! متى وقعت ؟ ! كيف أدرك الناس أن هذا العقل غدا شيئا غير العقل ؟ ؟ وأن صاحبه أمسى فرداً شاذاً يجب عزله بعيداً عن الناس كأنه الحيوان المفترس ؟ ؟

كان إنسانا هادئا أخص ما يوصف به الهدوء المطلق . ولعل ذلك ما حبب اليه الجمود والكسل . وزهده في الناس والنشاط . ولذلك عدل عن مرحلة التعلم في وقت باكر . وأبى أن يعمل عملا مكتفيا بدخل لا بأس به . وكانت لذته الكبرى أن يطمئن إلى مجلس منعزل من طوار القهوة ، فيشبك راحتيه على ركبتيه ، ويلبث ساعات متتابعات جامداً صامتا ، يشاهد الرائحين والغادين بطرف ناعس وجفنين ثقيلين . لا يمل ولا يتعب ولا يجزع . فعلى كرسيه من الطوار كانت حياته ولذته . ولم يكن وراء ذلك المظهر البليد الساكن حرارة أو حركة في قرارة النفس أو الخيال ، كان هدوءه شاملا الظاهر والباطن ، الجسم والعقل ، الحواس والخيال . كان تمثالا من لحم ودم يلوح كأنما يشاهد الناس وهو بمعزل عن الحياة جميعا .

قلويات المخاط ، فإن الأغشية تكون غطاء آخر يحفظها من الحوامض فإذا فشل هذا الغطاء في تأدية عمله لقوة الجوامض تكونت القرح وبدأت المعدة تأكل نفسها

وهكذا صدق تعبيرنا القائل أنه يأكل نفسه كمداً وحسرة .

يعيشون بدون معدة

أصبحت عملية إزالة المعدة أو جزء منها من المسائل العادية في الولايات المتحدة كما صرح بذلك الدكتور فرانزا انجلفنجر ، فانخفضت نسبة وفياتها في الحالات غير السرطانية من ١ إلى ٣ في المائة ، فان كانت لازالة سرطان المعدة انخفضت إلى ١٠٪ وحتى في حالة إزالة المعدة كلها فان المريض لايتعرض للخطر من العملية بنسبة تعرضه للمرض الذي تزال المعدة من أجله .

وأثبتت الاحصاءات أن ٣٠٪ ممن تجرى عليهم هذه العمليات لا يستعيدون وزنهم العادي ومنهم ٣٪ يحسون بضعف ودوار وضغط إن أكلوا وجبات كبيرة . ولكن هذا الإحساس يزول بعد سنة من إجراء العملية فيتجنب المريض الوجبات الكبيرة ويستعيض عنها بست وجبات في اليوم . فإن من العوامل المهمة أن تلائم عمليات الهضم للحالة الجديدة .

ويستطيع المريض بعد استئصال معدته تناول أي طعام وتأدية أي مجهود . ولكنه لوحظ أن النشويات والسكر والزلاليات يسهل امتصاصها ، أما الدهنيات فتحدث بعض الاضطراب . وقد يصاب بعض المرضى بالأنيميا وإن كانت الحادة منها نادرة الحدوث .

فوزي الشنوي

ثم ماذا ؟

حدث فى الماء الآسن حركة بريئة فجائية كأنما ألقى فيه بحجر.

كيف ؟ !

رأى يوما — إذ هو مطمئن إلى كرسيه على الطوار — عمالا يملأون الطريق — يرشون رملا أصفر فاقعا يسر الناظرين بين يدي موكب خطير . ولأول مرة فى حياته يستثير دهشته شئ فيتساءل لماذا يرشون الرمل ... ثم قال لنفسه إنه يثور فيملأ الخياشيم ويؤذى الناس ، وهم أنفسهم يرجعون سراعا فيكنسونه ويلمونه ، فلماذا يرشونه إذا ؟ ! وربما كان الأمر أتفه من أن يوجب التساؤل أو الحيرة ، ولكن تساؤله بدا له كأخطر حقيقة فى حياته وتتذاك . فخال أنه بصدد مسألة من مسائل الكون الكبرى . ووجد عملية الرش أولا والكنس أخيرا والأذى فيما بين هذا وذاك حيرة ، بل أحس ميلا إلى الضحك ، ونادرا ما كان يفعل . فضحك ضحكا متواصلا حتى دمعت عيناه . ولم يكن ضحكه هذا محض انفعال طارئ . فالواقع أنه كان نذير تغيير شامل ، خرج به من صمته الرهيب إلى حال جديد . ومضى يومه حائرا أو ضاحكا ، يحدث نفسه فيقول كالذاهل ، يرشون فيؤذون ثم يكنسون .. ها ها ها .

وفى صباح اليوم الثانى لم يكن أفاق من حيرته بعد . ووقف أمام المرآة يهيئ من شأنه . فوقعت عيناه على ربطة رقبته . وسرعان ما أدركته حيرة جديدة ، فتساءل لماذا يربط رقبته على هذا النحو ؟ مافائدة هذه الربطة ؟ لماذا نشق على أنفسنا فى اختيار لونها وانتقاء مادتها ؟ وما يدرى إلا وهو يضحك كما ضحك بالأمس . وجعل يرنو إلى ربطة الرقبة بحيرة ودهشة . ومضى يقلب عينيه فى أجزاء ملابسه جميعا بانكار وغرابة . ماحكمة تكفين أنفسنا على هذا الحال المضحك ؟ لماذا لانخلع هذه الثياب ونطرحها أرضا ؟ لماذا لانبدو كما سوانا الله ؟ بيد أنه لم يتوقف عن ارتداء ملابسه حتى انتهى منها ، وغادر البيت كعادته ، ولم يعد يذوق هدوءه الكثيف الذى عاش فى اهابه دهرا طويلا قانعا مطمئنا . كيف له بالهدوء والرمل لايزال عالقا بأديم الأرض ! كيف له بالهدوء وهذه الثياب الثقيلة تأخذ بخناقه على رغمه ! أجل على رغمه ؛ وقد اجتاحته موجة غضب وهو يحث خطاه . وكبر عليه أن يرضى بقيد على رغمه . أليس الإنسان حرا ؟ !

وتفكر مليا ثم أجاب بحماسة ، بلى أنا حر ، وملأه بغتة الشعور بالحرية . وأضاء نور الحرية جوانب روحه حتى استخفه الطرب . أجل هو حر . نزلت عليه الحرية كالوحى فملأه يقينا لاسبيل إلى الشك فيه . إنه حر يفعل مايشاء كيف شاء حين شاء غير مذعن لقوة أو خاضع لعلة . لسبب خارجى أو باعث باطنى حل مسألة الإرادة فى ثانية واحدة . وأنقذها بحماسة فائقة من وطأة العلل . وداخله شعور بالسعادة والتفوق عجيب . فألقى نظرة ازدراء على الخلق الذين يضربون فى جوانب السبل مصفدين لايملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا . إذا ساروا لم يملكوا أن يقفوا . وإذا وقفوا لم يملكوا أن يسيروا . أما هو فيسير إذا أراد ، ويقف حين يريد . مزدريا كل قوة أو قانون أو غريزة . وأهاب به شعوره الباهر أن يجرب قوته الخارقة فلم يستطع أن يعرض عن نداء الحرية . توقف مسيره بغتة وهو يقول لنفسه « هأنذا أقف لغير ماسبب » ونظر فيما حوله ثوانى ثم تساءل : أيستطيع أن يدفع يديه إلى رأسه ؟ أجل يستطيع . وها هو ذا يرفع يديه غير مكترث لأحد من الناس . ثم تساءل مرة أخرى هل تواتيه الشجاعة على أن يقف على قدم واحدة ؟

وقال لنفسه نعم أستطيع وما عسى أن يعتاق حريتى ؟ وراح يرفع يسراه كأنه يقوم بحركة رياضية فى أناة وعدم مبالاة كأنه وحده فى الطريق بلارقيب . وغمرت فؤاده طمأنينة سعيدة وملأته ثقة بالنفس لا حد لها . فمضى يتأسف على مافاته — طوال عمره — من فرص كانت حرية بأن تمتعه بحريته وتسعده بحياته . واستأنف مسيره وكأنه يستقبل الحياة من جديد .

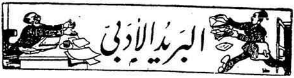
ومر فى طريقه إلى القهوة بمطعم كان يتناول به عشاءه فى بعض الأحايين . فرأى على طواره مائدة ملأى بما لذ وطاب . يجلس إليها رجل وامرأة متقابلين يأكلان مريئا ويشربان هنيئا . وعلى بعد يسير جلس جماعة من غلمان السبيل ، عرايا إلا من أسمال بالية تغشى وجوههم وبشرتهم طبقة غليظة من غبار وقذارة . فلم يرع لما بين المنظرين من تنافر . وشاركته حيرته عدم ارتياحه

فأبت عليه أن يمر بالمطعم من الكرام . ولكن ما عسى أن يصنع ؟ قال له فؤاده بعزم ويقين « ينبغي أن يأكل الغلمان مع الآخرين » . ولكن الآكلين لا يتنازلان عن شيء من هذه الدجاجة التى أمامهما بسلام ؟ هذا حق لاريب فيه . أما إذا رمى بها إلى الأرض فتلوثت بالتراب فما من قوة تستطيع أن تحرمها الغلمان . فهل ثمة مانع يمنعه من تحقيق رغبته ؟.. هيهات ربما كان التردد ممكنا فى زمن مضى ، أما الآن ... واقترب من المائدة بهدوء ! ومد يده إلى الطبق فتناول الدجاجة ثم رمى بها عند أقدام العرايا . وتحول عن المائدة وسار إلى حال سبيله كأنما لم يأت أمراً نكرا ، غير عابىء الزئير الذى يلاحقه مفعما بأقذع السباب والشتائم . بل غلبه الضحك على أمره ، فاسترسل ضاحكا حتى دمعت عيناه . وتنهد بارتياح من الأعماق ، وعاوده شعوره العميق بالطمأنينة والثقة والسعادة .

وبلغ القهوة فمضى إلى كرسيه واطمأن إليه كعادته . بيد أنه لم يستطع هذه المرة أن يشبك راحتيه حول ركبته ويستسلم لسكونه المعهود . لم تطاوعه نفسه ، فقد فقدت قدرتها على الجمود ، أو رثت من عجزها عن الحركة . فنبا به مجلسه ، حتى هم بالنهوض . إلا أنه رأى — فى تلك اللحظة — شخصا غير غريب عن ناظريه وإن لم تصله به أسباب التعارف . كان من رواد القهوة مثله . وكان جسما ضخما وأوداجا منتفخة ، يسير مرفوع الرأس فى خيلاء ، ملقيا على ما حوله نظرة ترفع وازدراء ، تنطق كل حركة من حركاته ، وكل سكنة من سكناته بالزهو والكبر كأنما يثير الخلق فى نفسه ما تثيره الديدان فى نفس رقيقة مرهفة الحس . وكأنه يراه لأول مرة ، بدا له قبحه وشذوذه عاريا . فغالبته هذه الضحكة الغريبة التى ما انفكت هذين اليومين تمابثه . ولم تفارقه عيناه . وثبتت خاصة على قفاه يبرز من البنيقة عريضا ممتلئا مغريا . وتساءل أيتركه يمر بسلام !.. معاذ الله ، لقد ألف داعى الحرية . وعاهده ألا يخالف له أمرا . وهز منكبيه استهانة . واقترب من الرجل فكاد يلاصقه . ورفع يده وأهوى بكفه على القفا بكل ما أوتى من قوة فرنت الصفعة رنينا عاليا . ولم يتمالك نفسه فأغرب ضاحكا . ولكن لم تنته هذه التجربة بسلام كأختها السابقة . فالتفت الرجل نحوه فى غضب جنونى ، وأمسك بتلابيبه وانهال عليه ضربا وركلا ، حتى خلص بينهما بعض الجلوس . وفارق القهوة لاهثا . ومن عجب أنه لم يستشعر الغضب ولا الندم . وعلى العكس من ذلك ألمت بحواسه لذة عجيبة لا عهد له بها من قبل . وافتر ثغره عن ابتسامة لا تزايله . وفاضت نفسه بحيوية وسرور يغشيان أى ألم ، لم يعد يكترث لشيء غير حريته التى فاز بها فى لحظة سعيدة من الزمان وأبى أن يغيب عنها ثانية واحدة من حياته . ومن ثم ألقى بنفسه فى تيار زاخر من التجارب الخطيرة بإرادة لا تنثنى وقوة لا تقهر . صفع أقفية وبصق فى وجوه وركل بطونا وظهورا . ولم ينج فى كل حال من اللكمات والسباب . فحطمت نظارته ومزق زر طربوشه ، وتهتك قميصه وانفصمت ثنيتاه . ولكنه لا ارتدع ولا ازدجر ولا انثنى عن سبيله المحفوف بالمخاطر ، ولا فارق الابتسام شفتيه ولا خمدت نشوة فؤاده الثمل ، ولو اعترض الموت طريقه لاقتحمه غير هياب .

ولما آذنت الشمس بالمغيب عثرت عيناه المتجولتان بحسناء مقبلة متأبطة ذراع رجل أنيق المنظر ترفل فى ثوب رقيق شفاف . تكاد حلمة ثديها تثقب أعلى فستانها الحريرى . وجذب صدرها الناهد عينيه فزاداً اتساعا ودهشة . وهاله المنظر ، وكانت تقترب خطوة فخطوة حتى باتت على قيد ذراع وكان عقله — أوجنونه — يفكر بسرعة خيالية . فخطر له أن يغمز هذه الحلمة الشاردة . إن رجلا ما يفعل ذلك على أية حال فليكن هذا الرجل . واعترض سبيلهما ومد يده بسرعة البرق وقرص . آه . لقد انهالت عليه اللطمات واللكمات . وأحاط به كثيرون ولكنهم فى النهاية تركوه ، لعل ضحكته الجنونية أخافتهم . ولعل نظرة عينيه المحملقتين أفزعتهم ، تركوه على أية حال ، ونجا ولم تكد تزداد حالته سوءاً . وكان لا يزال به طموح إلى مزيد من المغامرات . ولكن لاحت منه نظرة إلى ملابسه فهاله ما يرى من تمزقها وتهتكها . وبدلا من أن يأسى على نفسه راح يذكر ما دار بخلده صباح اليوم أمام المرآة ، فلاحت فى عينيه نظرة غائمة ، وعاد يتساءل : لماذا يدع نفسه سجينا فى هذه اللفائف تشد على صدره وبطنه وساقيه ، وناء بثقلها ، وشعر لوطأتها باختناق . فغلت مراجله ولم يستطع معها صبرا . وأخذت يداه تنزعانها قطعة فقطعة ، بلا تمهل ولا إبطاء ، حتى تخلص منها جميعا ، فبدا عاريا كما خلقه الله . وعابثته ضحكته الغريبة ، فقهقه ضاحكا واندفع فى سبيله ....

نجيب محفوظ



بين صديقين

[اشتد بصديقنا الأديب الفاضل الأستاذ عبد الرحمن صدقي مصابه الأليم بزوجته المهذبة فنظم في رثائها قصيدتين من أبلغ الرثاء ، وأرسلهما إلى صديقه الأستاذ الجليل العقاد ومعهما هذان البيتان]:

أخي ، منذ أعوام مضين ذكرتني
وهنأت زوجي بالهوى ، وهنأتني
لقد ذهبت تلك السنون سريعة
وهذي مراثي زوجتي اليوم ، فارثني

فأجابه الأستاذ بهذه الأبيات :

أخي ! ما عزائي أن أهوّن فاجعا
أراه — وإن لم أبله — غير هيّن
ولكنْ عزائي هذه الحرب زلزلت
قلوب بني حواء في كل مأمن
ولكن عزائي هذه الأرض علّمت
بنيها هوان العيش علم التيقّن
قضاء علينا في الحياة فراقنا
لأحبابنا حيث التقينا بموطن
فجيعتنا فيمن نحب بديلها
فجيعتهم فينا ، ومن يبق يغبن
فلا ترض للاحباب غبنا يؤودهم
وليس الرضا في الحالتين بممكن
ألا هان عيش لا يزال خياره
لمن يرتجيه شاكيا : متْ أو احزن
أخي ! هذه الدنيا وهذا عزاؤها ،
قصاراه — بعد الجهد— تسليم مذعن
وما أحسب الإيمان إلا حقيقة
فلا صبر فيها لامرئٍ غير مؤمن

***

شرح لامية العجم ، ما اسمه؟

شرح لامية العجم لصلاح الصفدي ، مصنف كبير ، مكتنز بالفوائد — أظهرته مطبعة بولاق مسمية إياه هذا الاسم :

(الغيث المسجم في شرح لامية العجم)

وهو مسندى حين ذكرته فيما رويته عن سماه — أعني شرح اللامية — في (نقل الأديب) ، وفي خطبتي أو مقالتي في (أبي العلاء المعري) ، وقد أرشدني العلامة الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة الغراء إلى كتاب اسمه (سحر العيون) من مؤلفات القرن التاسع ، وهداني إلى هذه الفائدة الآتية فيه .

« ... عابوا على الشيخ صلاح الدين الصفدي (رحمه الله) في تسميته كتابه بـ (الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم) وقد مزق جلده الشيخ بدر الدين الدماميني في كتاب عمله عليه وسماه نزول الغيث ... »

فهل بدل الصلاح اسم كتابه من بعد ذلك النقد وتمزيق الجلد ... — وإني لأستبعد ذلك — أم بدله الناسخون والطابعون .

محمد إسعاف النشاشيبي

من ناظر إلى فراش (١)

عزيزي أحمد حسين

لك جزيل شكري على كتابك الذي تسلمته الساعة ، وما يبعث كتاب في قلبي من دواعي السرور أكثر مما تبعثه كتبك التي تصلني في نظام أول كل عام . وإنه لعجيب بعد تلك الأعوام الطويلة التي مرت منذ أن تعارفنا وهي الآن خمسة وعشرون أن

(١) أنظر صفحة (من وراء المنظار) في هذا العدد

تظل محتفظا نحوى ونحو أسرتى بذكريات مودة وصداقة ، وأن تتعب نفسك على هذا النحو بالكتابة معبراً عنها . وإنى لشكور حقاً ولا أزال أتلو كتبك مرة ومرة فى سرور بالغ . ولا ينقصنى إلا أن نلتقى كما كنا نفعل فى الأيام الماضية فأصافحك ، ولكن هذا بالضرورة مستحيل فليس لدى إلا أن أصافحك بكتابى وهذا ما أفعله الآن ... وكذلك أصافح ذلك الشيخ الكبير عزيزى الحاج عبد القادر ، وكم تتوق نفسى إلى رؤية ذلك الرجل الطيب العجوز : وأكبر ظنى أنه قد علت به السن جداً الآن كما علت بى . ولكن من دواعى الغبطة الشديدة أنه لا يزال حياً وأنك لا تزال على صلة به ولو أنك لا تراه ؛ وأنك تبلغه رسالاتى التى أبعثها إليه عن طريقك . بلغه أنى كثيراً ما أذكره كلما أذكرك وأذكر جميع الأخيار من الأصدقاء الذين عاشرتهم بالمدرسة التوفيقية فى تلك الأيام الطيبة الخالية . ولقد رغبتُ إلى زوجى أن أقول لك إنها كذلك لا تزال تذكركم جميعاً فى عطف ومودة وأنها جد فرحة بأنك لم تنسها .

وبعد فأنى أسرد عليك شيئا عن حال أسرتى كما طلبت ، وعلى الأخص حال ولدىّ ؛ إنهما والحمد لله بخير ، وإننا فى أيام الحرب هذه لنشكر الله على أنهما لا يزالان كذلك . وإنه ليؤسفنى أنك كنت غائبا حينما زار أصغر الأخوين المدرسة التوفيقية سائلا عنك وكذلك يشعر هو بالأسف ؛ ولم يكن لديه متسع ليعاود الزيارة كما ذكرت أنت مع أنه رغب فى ذلك ؛ كان جيمس أصغرهما هو الذى زار المدرسة لا وليم ؛ وهو الآن « ليفتننات كرنل » فى فرقة الدفعية وهو يحارب على رأس رجاله فى جبال إيطاليا . ولقد كان وليم على مقربة من القاهرة حديثاً إذ كان يصحب مستر ونستون تشرشل أثناء المؤتمر الذى عقد فى ديسمبر الماضى فى مينا هوس ؛ ولم يكن ليستطيع أن يغيب طرفة عين عن مكانه قرب الأهرام ، وعلى ذلك فلم يتمكن من زيارة المدرسة كما كان يحب أن يفعل . ولقد رقى الآن إلى مرتبة نائب مارشال الطيران وسيذهب لقيادة قوة الطيران الملكية فى جبل طارق وهو عمل شائق يتطلع إليه فى شغف ؛ وقد يكون ممكنا أن يطير من جبل طارق يوما ما إلى القاهرة ، فأذا تم ذلك فمن المؤكد أنه يجب أن يراك وإنه لذلك سيزور المدرسة ، وآمل أن تكون وقتئذ حاضراً ؛ ولكنى لا أستطيع طبعا أن أذكر متى يفعل ذلك إن كان ثمة ذلك فى طوقه . ولوليم الآن طفلان هما حفيداى الحبيبان ، بنت فى السادسة وصبى فى الرابعة ، ولقد قضيا هنا عندنا أسبوعين ؛ وكان جميلا أن تراهما وعلى الأخص ذلك الصبى فقد ولد فى بدء الحرب ولم تره قبل اليوم أبداً ؛ وهو ولد جيل قوى البنية لن يتعب من اللعب ، ولذلك ترانى أتعب قبل أن يتعب هو إذا مالعبنا معا ولما تنته اللعبة ؛ فأن جسمه الصغير أكبر قوة من جسمى الذى هده الكبر .

ليست زوجى على خير ما أحب لها من العافية ؛ أما أنا فعلى خير ما أرجو إذا ذكرت إنى أدلف إلى الثمانين من عمرى ؛ فلا زلت أستطيع أن أصعد فى تل قريب حيث أطل منه على منظر بهيج ، وإن كنت بالضرورة لا أستطيع أن أفعل ذلك فى مثل ما كنت عليه سالفاً من السرعة ، كما أنى لا أبلغ من التل ما كنت أبلغه من قبل .

أشكرك ثانياً على كتابك الكريم وما جاء فيه من عبارات طيبة ، وأرسل إليك أطيب تمنياتى وتشاركنى فى ذلك زوجتى ؛ كما نرسل حبنا ومودتنا لكل من لا يزال يذكرنا وبخاصة أنت والحاج عبد القادر العزيز .

المخلص

ج . إلبوت

تصويب !!!

ورد فى مقال الدكتور البهى فى العدد ٦٠٦ من الرسالة قوله : « ولا نبعد عن الصواب إذا حكمنا على بعض علماء الدين بأنهم لم يفهموا الإسلام إذا جعلوا من قوله تعالى « وأطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم » والصواب : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

(كلية اللغة) **عبد الفضيل يوسف رجب**



المنطـــق

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

لى صديق من أفاضل العلمـاء يحب أن يجادلنى على الدوام ، فنلعب بالمعانى والكلام ؛ ومن أساليب جداله قوله «أين المنطق» ؟

ومررت منذ أيام بدار الرسالة فأعطانى الأستاذ الزيات كتابا فى المنطق صدر أخيراً لأكتب عنه . فرحبت بالفكرة ، وقلت فى بالى سأستفيد من هذا الكتاب الحديث فهو آخر ما صدر فى هذه الأعوام ، ومؤلفه من العلماء المعروفين ، وأستطيع بعد ذلك أن أقنع صديق الفاضل بأسلوب جديد فى المنطق ، وأعرّفه ما هو ، وأدفعه إلى الاقتناع بالحجة والبرهان .

مؤلف الكتاب الدكتور « جميل صليبا » عضو المجمع العلمى العربى ، وعنوانه : « دروس الفلسفة — الجزء الثانى — المنطق » طبع بمطبعة الترقى بدمشق عام ١٩٤٤ . ويقع فى ٤٤٠ صفحة من القطع الكبير . أما الجزء الأول من دروس الفلسفة فهو علم النفس طبع عام ١٩٤٠ .

وللمؤلف كتب أخرى عن ابن سينا ، وكتاب من أفلاطون إلى ابن سينا ، وكتب فلسفية نشرها وعلق عليها ، مثل : المنقذ من الضلال للغزالى وابن الطفيل .

ولكنى لم أكد أشرع فى قراءة كتاب المنطق حتى تبين لى أنى كنت مسرفاً فى الأمل والتفاؤل ، لأننى لم أعثر على جديد معروف ، وعلى العكس صادفتنى أخطاء كثيرة كان ينبغى أن ينجو منها كتاب فى المنطق ، المفروض فيه أنه يعلمنا كيف نأمن الزلل ونتبع سبيل الصواب .

ونعرض لأول . مسألة قررها المؤلف وهى تعريف المنطق .

قال : « فيمكننا أن نعرف المنطق بقولنا : هو علم صور العلوم ، أو علم العلوم ، أو العلم الذى يبحث فى صحيح الفكر أو فاسده ، أو كما قال فلاسفة البور رويال : فن التفكير »(١) .

وليس فى هذه التعاريف المختلفة تعريف واحد صحيح .

التعريف الأول هو علم صور العلوم ، ليس صحيحاً لأن المنطق منه الصورى والمادى ، والمنطق الصورى لا يتصل بالعلوم بل بالفكر نفسه . وأكبر الظن أن المؤلف أخطأ فى ترجمة التعريف المتفق عليه بين العلماء الآن ، وهو أن المنطق علم صور التفكير La Science des formes de la pensée(٢) . وقال ليارد فى نفس الصفحة « إن موضوع المنطق تقرير قوانين التفكير فى ذاتها بصرف النظر عن الموضوعات التى تنطبق عليها ، ثم بيان الطرق المختلفة لتطبيق هذه القوانين ، وهذا هو الموضوع المزدوج للمنطق » .

ويقول الأستاذ جميل صليبا عند الكلام عن موضوع المنطق إنه : « البحث عن العمليات الفكرية والشرائط النظرية التى يتوقف عليها التفكير الصحيح » . والبحث عن العمليات الفكرية من خصائص علم النفس لا علم المنطق الذى يبحث عن قوانين الفكر الصورية ، لا عن عملية التفكير كيف تقع فى الذهن . ويخيل إلينا أن هـــذا اللبس ناشىء عن ترجمة المصطلحات عن اللغة الأجنبية ، وسنعرض لهذا الموضوع أى الاصطلاحات التى وردت فى هـذا الكتاب فى مقال آخر . والعمليات الفكرية هى Processus أما قوانين الفكر فهى Lois .

والتعريف الثانى علم العلوم ، لا يفيد شيئا ، فهو كقولك الأسد ملك الحيوان . ولماذا يكون المنطق علم العلوم ؟ لماذا لا تكون الرياضة مثلا ؟

والتعريف الثالث « العلم الذى يبحث فى صحيح الفكر أو فاسده » . ولعل صوابها وفاسده بدلا من أو فاسده ، إذ أن المنطق يبحث فى الصحيح والفاسد على السواء لبيان وجه الصواب منهما .

---

١) الكتاب المذكور ص ٩

٢) من كتاب Liard, Logique

والبحث فى الصحيح والفاسد فى الفكر ثمرة من ثمار المنطق تأتى بعد تطبيقه ، أو هى غاية من غاياته ، ولا تدخل فى تعريفه أو ماهيته .

ولعل المؤلف قد تأثر بالتعاريف التى أوردها العرب فى كتبهم ولم يعلى بمناقشتها . لهذا نذكر بعض تعريفات العرب للمنطق ثم نذكر ملاحظاتنا عنها .

قال صاحب البصائر النصيرية « فاذا انقسمت الاعتقادات الحاصلة للأكثر فى مبدإ الأمر إلى حق وباطل ، وتصرفاتهم فيها إلى صحيح وفاسد ، دعت الحاجة إلى إعداد قانون صناعى عاصم للذهن عن الزلل ، مميز لصواب الرأى عن الخطأ فى العقائد ، بحيث تتوافق العقول السليمة على صحته . وهذا هو المنطق ».

وجاء فى لباب الإشارات لابن سينا شرح الرازى « الفكر ترتيب أمور معلومة ليتأدى منها إلى أن يصير المجهول معلوماً ، وذلك الترتيب قد يكون صوابا وقد لا يكون ، والتمييز بينهما ليس ببديهى ، فلا بد من قانون يفيد ذلك التمييز ، وهو المنطق » .

ويعرف الفارابى المنطق فى كتابه إحصاء العلوم : « فصناعة المنطق تعطى جملة القوانين التى شأنها أن تقوم العقل ، وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب ، ونحو الحق فى كل ما يمكن أن يغلط فيه من المنقولات ، والقوانين التى تحفظه وتحوطه من الخطأ والزلل والغلط فى المعقولات » .

ونلاحظ على التعاريف أنها تجعل المنطق ميزانا للتمييز بين الصحيح والفاسد من الفكر وتجنب الزلل .

ونلاحظ ثانيا أنها تجعل المنطق آلة لغيره من العلوم .

وكلا الإتجاهين لا يجعل المنطق علما بل فنا .

قال صاحب الرسالة الشمسية « المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى الفكر » وعلق القطب الرازى على هذا التعريف بقوله : « والآلية للمنطق ليست له فى نفسه ، بل بالقياس إلى غيره من العلوم الحكمية ، ولأنه تعريف بالغاية ... »

والمناطقة فى أوربا فى عصر النهضة وما بعده أخذوا بوجهة نظر العرب وجعلوا المنطق فنا لا علما . والكتاب الصادر عن بور رويال Port Royl [1] عنوانه « المنطق أو فن التفكير » وهذا واضح الدلالة فى التصريح بأن المنطق فن وليس علما .

ولكن المناطقة المحدثين نظروا إلى قوانين الفكر فى ذاتها ، دون نظر إلى فائدتها فى كشف العلوم ، أو قيمتها فى التمييز بين الحق والباطل والصواب والخطأ ، ولهذا كان المنطق علما ، وألحقوه بالعلوم ، وعرفوه بأنه العلم الذى يبحث فى قوانين الفكر أو صور التفكير .

وهذا يبين فساد التعريف الرابع الذى أورده المؤلف وهو أن المنطق فن التفكير .

دكتور

أحمد فؤاد الأهوانى

(١) بور رويال دير فى فرنسا فى مقاطعة السين ، سكن فيه كثير من العلماء والفلاسفة مثل بسكال وغيره وألفوا كثيرا من الكتب العلمية والفلسفية ، واهتم فلاسفته بالمنطق ، وألفوا فيه الكتاب المذكور ، وهو مشهور ، ويقال أيضا منطق بور رويال .